العرافة

العرافة

الكاتب: هاني كشك

- **رقم الإيداع:**
- **الترقيم الدولي:**
- **تصميم الغلاف:**
- **تدقيق لغوي:**
- **تنسيق داخلي: مؤسسة الشريف للكتاب**
- **الطبعة الأولى ٢٠٢٠**

الناشر: نبوغ للنشر والتوزيع

http://www.nebogh.com/

المدير العام: مروة المصري

darnebogh@gmail.com

٠١١٠٠٥٢٨٥٢٢

جميع الحقوق محفوظة ©

العرافة

مجموعة قصصية

هاني كشك

إهداء

إلى تلك الأفكار التي ظلت حائرة حتى اهتدت
وإلى الشتاء الذي أغزل فيه حروفي
وإلى الموسيقى الهادئة التي رافقتني أثناء الكتابة
وإلى أبطال المجموعة جميعًا
نشكركم على حسن تعاونكم معنا

البرنامج

لم يعجبني هذا المذيع اللزج في حواره مع مطربتي المفضلة، يتحين كل فرصة لمغازلتها، تبتسم ثم تكمل حوارها، لولاها لأغلقت التلفاز دون تردد، ولكنني أنتظرها في كل حواراتِها، لا تظهر كثيرًا على الشاشة، ولو ظهرت كل يوم ما غادرت مقعدي أمام التلفاز، اطفأت أنوار الشقة كلها كما لو كنت في قاعة السينما، حتى يكون كل تركيزي معها فقط، فكرت أن اضع شريط لاصق بحجم المذيع حتى لا أراه، ولكن زاوية التصوير تتغير وقد تخفي شيء من ملامحها الفاتنة.

ليست بيضاء اللون، ولا سمراء، هي قمحية، في عينيها براءة ألف ألف طفل، تلمعان دائمًا، تصطحب فوق شفتاها إبتسامة محظوظة بتلك الصحبة، خديها ممتلئان وبكل واحد منهما نغزة رقيقة، انسدل شعرها الأسود على كتفيها فبدت وكأنها ملكة على كرسي العرش، لن أتحدث عن قوامها الممشوق، أو مشيتها الهادئة، ولا ثقتها التي تبدو واضحة عندما تغني، ولا صوتها الذي هو كصوت بلبل في الصباح، تستمتع به دون أن تراه، هي الطاووس الذي لم يصبه

الغرور، هي الفل الذي أستمتع برائحته حتى وإن لم ألمحه هي الربيع الذي أشعر به عند رؤيتها حتى ولو لم يحن أوانه، هي اخر قطرة ماء إذا لم أشربها ما ارتويت، هي موج البحر الهاديء عندما يحتويني فأشعر بالأمان وأنا لا أعرف السباحة، هي كل شيء وأكثر.

حينما يطلب منها أن تغني، أردد معها الكلمات وتدمع عيناي مع بعض الكلمات أو كل الكلمات، لا أشعر بدموعي إلا دافئة على وجهي فلا أرهق نفسي بأن أمسحها، وكأنني أريد أن أعيش معها كل إحساس، ذكية في إختيار كل شيء، الألحان، الكلمات، الملابس، الظهور، ولكن الأهم هي تلك المشاعر التي تغني بها، لو غنت عن الحب تغني وكأنها ترى حبيبها أمامها، ولو غنت عن الفراق تشعر بألمه في ملامح وجهها الحزين، صوتها يفرح وهي تغني للسعادة، ويئن وهي تغني للذكريات.

إنتهى البرنامج فدخلت إلى غرفتي التي زينتها بصورها على كل جدار، في مواجهة فراشي وضعت صورة كبيرة لوجهها فقط ليكون أول ماتقع عليه عيني كل صباح، واخر ما اراه قبل النوم، على اليمين صورة كبيرة لها وهي تلوح لجماهيرها في احدى الحفلات، الوح لها في كل ليلة وأبتسم ، وعلى اليسار

صـورة كبيرة اخـرى وهي تجلـس على البيـانو، أكـاد أسـمع ماتعزفه رغم أنها صورة.

اعتدت كل ليلة قبل أن أنام على كتابة يومياتي، وكأنني أخلد لشيء ما، ماالـذي يجعـل إنسـان عـادي جـدًا مثلي يهتم بهـذا التقليـد، ويجعلـه أحـد طقـوس حياتـه اليوميـه؟، أكتـب كـل شيء قمت بـه خـلال اليـوم، في العمـل، في الشـارع، في المنزل، وبالطبع كانت هي بطلة تلك الليلة، كما يحدث في كثير من الليالي، أمسكت بقلمي وبدأت أكتب:

كـان صـباحًا جمـيلاً حينمـا أشـرقت الشـمس على وجههـا، تعـودت أن ألقي الصباح عليها، وأرسـل إليها قبلة عبر الهواء قبل أن أغادر الفراش، كنت متعجلاً من أمري، أريد أن أذهب إلى العمـل سـريعًا، وأعـود سـريعًا، أعلـم أن إنتظـار البرنـامج سـيكون مملاً بالنسـبة لي، الـدقائق تمـر بطيئـة جـدًا خـلال اليـوم، كـأن عقـارب السـاعة تعانـدني، لـو أنني هاتفت العمـل اليـوم لأحصـل على أجـازة، لكـان الأنتظـار أصـعب وأنـا أجلـس أمام صورها التي ملأت بها أركان شـقتي في أنتظار ظهورها على الشاشـة، أريـد أن أقضي السـاعات في شيء بعيـدًا عـن المنزل،

ولا أعـود إلا قبـل بدايـة البرنـامج بنصـف سـاعة فقـط، لـن أحتمل الأنتظار أكثر من هذا.

أحيانًا أعتبر نفسي مريضًا بها، من يصدق أنني إحتفلت بعيد مـيلادي الخمسـين منـذ بضـعة أيـام ولازلـت مجنونهـا لدرجـة الهـوس، وأعلـق على الجـدران صـورها، وأحـتفظ بأخبارهـا في كـل الجرائـد والمجـلات، وأتـابع صـفحاتها على جميـع مواقـع التواصـل الأجتمـاعي، إنني أتصـرف مثـل المـراهقين، هـل هي المراهقـة المتـأخرة التي يمـر بهـا الرجـل؟ أم أنهـا بقيـة مراهقتي الاولى التي لم أعشها كاملة؟ أم ماذا؟

أتذكر جيدًا أنني في حفلتها الأخيرة، أرتديت الجينز، وتي شيرت بولـو، وكوتشي رياضي، ووقفت وسـط الشـباب، أتمايل معهم، وأصـفق، واطلق الصـفافير، تصـرفات لا تليق برجل خمسـيني، ولكني ارتكبها وأنـا لا أشـعر، كـأنني أتعـاطى نوعًـا من المخـدرات يســبب لــي فقــدان الشــعور بــالعمر، أو الســيطرة علــى التصرفات، ضعيف أمامها إلى حد يفقدني إتزاني الذي يعرفه عني الجميع، سواء في العمل أو الجيران.

هل لأنني أعيش وحيدًا؟ لم أتزوج، ولن أتزوج؟ ربما.

اتابعها منذ ظهورها الأول، أكثر من عشرين عام مضت، كل شيء أدونه عنها، إحتفظ بكل أغانيها، والفيديو كليب الذي تقوم بتصويره، رغم أن كل شيء على الأنترنت، ولكنني أريد أن أشعر بها معي في كل وقت، كتب لها كل الشعراء، تعاملت مع معظم الملحنين، وحينما شعرت بنضجها الفني، بدأت تنتقي كل من تتعامل معه، نجمة في كل شيء، دونت أول إخفقاتها، حينما أصدرت البومها الثالث ولم ينجح، أختفت عن الساحة الفنية مايقرب من ثلاثة أعوام، حتى أن الجميع نسيها إلا أنا، ولكنها عادت بثبات، ونجاح لم يتوقعه أحد، ومنذ هذا اليوم وهي تقف في مساحة لها وحدها، وبينها وبين الجميع مسافة كتلك التي بين الأرض والشمس، هي الشمس طبعًا.

كان برنامجها اليوم أكثر من رائع، لم يعكره إلا هذا المذيع الذي يتعمد مغازلتها، وكثرة الفواصل، وشيء آخر حدث في اخر البرنامج، عندما سألها هذا اللزج ماذا عن الحب في حياتها ولماذا لم ترتبط حتى الأن ومعجبيها كثر؟

صمتت قليلاً، وظهرت في يدها رعشة، وعلى وجهها اضطراب تحاول أن تخفيه بأبتسامتها الهادئة، إقتربت الكاميرا من

عينيها وهي تجيب على سؤاله محاولة الثبات، ولكن صوتها جاء مرتجفًا، وظهر عليها انها تقاوم إحساس داخلي بالتوتر، اجابته أنها لم تصادف الحب إلا مرة واحدة في حياتها، عندما كانت شابة صغيرة لم تتعدى الخامسة والعشرين بعد، ثم إستطردت وهي تحاول أن تتماسك، وتقاوم دمعة بدأت تتلألأ ، وقالت بالنص

(أن كل الأغاني التي قدمتها كنت اغنيها لحبيبي الذي أحببته، اشاهده أمامى في كل شيء، حينما أفرح في غنائي أتذكره وهو يعطيني وردة، ويقبلني خلسة، حتى تشابك اصابعنا أشعر به، وعندما أغني للفراق، أراه صامتًا وأشعر بوجع قلبه في مشهدنا الأخير، وأتذكر اخر جملة قالها لي (سأظل أحبك، سأظل على العهد)، كل الأغاني له، ولكنني كنت أعتبر أن الأرتباط سيكون ضد مستقبلي ونجاحي، تركته وفضلت نفسي، كنت أنانية إلى حد كبير).

كان المذيع يعلم أنها لحظة مصارحة، ولكي يزيد نسبة المشاهدة، سألها سؤلاً آخر رغم أنه أخبر المشاهدين بأن وقت البرنامج قد إنتهى.

– هل لازلت تحبيه؟

أجابت وأسماء فريق العمل على الشاشة، وموسيقى نهاية البرنامج صوتها منخفض، اقتربت الكاميرا من عينيها مرة اخرى فأجابته:

– نعم

هنا زرفت دمعة ظلت تقاومها، ولكن من عيني أنا، صاحب العهد.

العرض الأول

نظر إليها وكأنه لم يرها من قبل، رغم إنه يردد دائمًا إنها أجمل ماصنعت يداه، يتعجب كيف إستطاع أن يستجمع كل مابه من مشاعر ليصيغها بهذة الصورة والدقة المتناهية، يتخيل أحيانًا انه يسمعها تتحدث إليه، يسألها وتجيبه، أسئلة كثيرة حائرة تدور في عقله وتؤرقه في نومه، لم يجد لها إجابة إلا لديها هي، أضافت بوجودها روحًا لغرفته التي كانت تخلو من أي حياة قبلها.

أجلسها على المقعد المقابل له، وتأمل وجهها جيدًا، عيناها الواسعتين، رموشها الطويلة، شعرها الأسود الفاحم الذي يصل إلى منتصف ظهرها، مشدود كأوتار الكمان، شفتيها يشبهان حبات اللؤلؤ، أنفها الدقيق، انحنى على يدها ليقبلها، ثم ضمها إلى صدره، فشعر بدقات قلبها تسري به الحياة، رغم أنها عروسة ماريونت.

حينما فرغ من الرتوش الأخيرة لها منذ شهرين، لم تكن فكرة العرض الذي سيقدمها فيه مكتملة في ذهنه، وعندما انتهى

من كل تفاصيلها اطلق عليها إسم مي، لماذا مي؟ لايعرف، ولكنه الأسم الذي ظل يتردد بين أفكاره طوال الفترة الماضية.

كانت فكرة العرض ببساطة، والتي وضحت منذ إسبوعين في عقله، أن مي تحب كريم، ولكنه يحب حنان التي تحب محمود، ومحمود يحب إيمان، ولكن إيمان تحب هادي الذي يحب مي.

هكذا مجموعة من المشاعر أحادية الجانب التي تكون سببًا فى المعاناة مع إستمرارها، وإلى الأنكسار في نهايتها، ثم الأنفصال ورفض الدخول في أية علاقة جديدة.

سيكسو العرض كما في مخيلته حالة من الأنتظار والترقب، ثم حالة من الحزن والضعف عند إدراك أن تلك المشاعر لن يكتب لها أن تكون حقيقة، وستظل من جانب واحد فقط، هنا يشعر كل بطل من الأبطال بالهزيمة، ويتوارى في ركن مخصص له بالمسرح.

حينما تحدث إلى مساعدته مي عن القصة، تعجبت منها ورفضتها، وكان رأيها

- أن هذة الأفكار لاتناسب الأعمار التي نقدم لها عروض العرائس.

فأجابها

- أن ما نشعر به ونحن في شبابنا هو في حقيقة الأمر نتاج ماكنا نعيشه ونحن أطفال، ثم إن إختلاف الأجيال يجعلنا نشعر بنفس مشاعر الجيل الذي سبقنا، ولكن مبكرًا عن العمر الذي كان هو يشعر فيه بهذة المشاعر.

عارضته في البداية، ثم بدأت تقتنع وتساعده في بروفات العرض، أصبح يدافع عن أفكاره بجرأة لم تعهدها فيه من قبل، كان يستمع إليها في العروض السابقة ويأخذ برأيها ويغير أحيانًا بعض الجمل أو الحركات، ولكنها رأته في هذة المرة تحديدًا ليس لديه أية رغبة في التغيير، بل أنه أقنعها بكل أفكاره التي سيقدمها خلال العرض.

يحمل مي على يديه في كل تحركاته، في المنزل لها مقعد على مائدة الأفطار، تجلس بجواره في السيارة، فيضع عليها حزام الأمان، يضع رأسها على كتفه وكأنه يضم حبيبته إلى صدره بعد غياب طويل، أو كحبيب يقدم اعذاره عن غيابه وعما بدر منه بدفء صدره، حتى في

فراشه كان حريصًا أن تكون بجواره، ليطمئن عليها في كل لحظة.

يحركها أثناء البروفات برقة بالغة، ونعومة مفرطة، هي لاتستحق إلا هذا من وجهة نظره رغم أنها ماريونت، يتعجب فريق عمله من كل هذة الحساسية في التعامل مع جماد، ولكن لم يجرأ أحد على سؤاله، أو الأستفسار منه، حماسه كان يدفعهم إلى تنفيذ تعليماته بدقة وبدون مناقشة.

تملكه الخوف عند إقتراب موعد العرض الأول، يشوب تصرفاته توتر دائمًا، بدا عصبي المزاج، عاد للتدخين مرة اخرى وهو الذي أقلع عنه منذ أكثر من عشر سنوات، ولكن مساعدته مي جعلته يشعر بالأطمئنان حينما حدثته عن عروضه السابقة، والنجاح الذي حققه قبل ذلك.

في ليلة العرض الأول، ارتدى بدلة أنيقة، وكأنه أحد نجوم هوليود وهو يتسلم جائزة الأوسكار.

رفعت الستار، وبدأ يحرك مي لتدخل إلى المسرح، دخلت وهي تضم كتابًا إلى صدرها، وكأنها لم تغادر المرحلة الثانوية بعد، ثم دخل كريم وراءها، ولكنه لم يقترب منها،

وجلس بعيدًا عنها، وأخذ ينظر إلى الجانب الاخر، ينتظر وصول حنان، إقتربت مي منه ومدت يدها لتسلم عليه، فسلم عليها دون إهتمام، وقابل إبتسامة السعادة التي تبدو في عينيها بإبتسامة باردة، وعندما دخلت حنان إلى المسرح ترك مي سريعًا.

تصنعت حنان أنها لم تراه وتقدمته وهي تتحدث في هاتفها المحمول، بدا عليها أنها تجري مكاملة هامة جدًا بالنسبة لها، إنتظرها حتى إنتهت من المكالمة واقترب منها متحججًا أنه سيعطيها كشكول المحاضرات، أخذته منه وشكرته دون إكتراث كبير، بذل كريم مجهودًا كبيرًا وهو يتصنع حوارات حتى يطول لقاءه بها، ولكنها حينما رأت محمود يدخل من بوابة الجامعة تركت كريم.

اقتربت مي من كريم مرة اخرى، وتحدثت إليه، ولكنه كان شاردًا في لقاء حنان مع محمود، فشعرت أنها ثقيلة، فابتعدت قليلاً.

محمود يحب إيمان، ويخاف أن تراه اثناء حديث حنان معه، فلم يطيل الحوار، واعتذر لحنان وتركها باحثًا عن

إيمان التي يحبها، وعندما يجدها يبتسم لها، فتبتسم له، ولاتطيل الوقوف معه، وتتركه لتبحث عن هادي.

يقف هادي في جانب المسرح، يختبيء من الجميع ولايريد أن يراه أحد، يتابع مشهد مي وكريم في صمت، لم يحاول أن يقترب ليتحدث إلى مي، يكتفي فقط بمتابعتها، كان يريد أن يجبر كسر قلبها بحبه لها، ولكنه يعلم جيدًا أنها لاتحبه.

يظل هادي ينظر إلى مي، واسئلة حائرة تتردد في عقله تبحث عن إجابة، هل سيكون سعيدًا إذا ارتبط بمي وهو يعلم جيدًا أنها لاتبادله نفس المشاعر؟ وكيف سيكون سعيدا وهو يراها تفكر في أحد غيره؟ وهل لو قدم لها كل شيء تحلم به ستحبه؟ وهل سيثق بعد ذلك فى حبها له؟ ثم لماذا يتردد ولايقترب ويخوض التجربة؟

في المشهد الاخير يجلس كل واحد منهم في أحد جوانب المسرح، وهو ينظر لمن يحبه، إلا هادي اقترب من مي دون أن يلفت نظرها إليه، لأنها في الحقيقة لم تكن تراه، تسدل الستار في بطء، مع صوت ناي حزين.

حينما لامست الستار أرضية المسرح، وقف الجمهور، ارتفع الستار مرة اخرى، فخرج هو ليحي الجماهير كما اعتاد في نهاية كل عرض يقدمه لهم، ولكنه عندما نظر إلى الصالة وجدهم جميعًا مي، فانحنى ليحي الجماهير محاولاً إخفاء توتره، في هذة اللحظة أرسل شعاع الليزر في الخلفية جملة ... إخراج / هادي.

العرافة

قالت لي أن كل شيء سيصبح على مايرام، إقترب ماكنت تتمناه، نظرتُ إليها في صمت وعلى وجهي إبتسامة بلهاء توحي لمن يراها أنني لاأصدق ماأسمعه، فعرت هي ما أفكر به وعادت وأكدت على ماقالته توًا وعينيها تملأهما الثقة، أغمضت عيناي، فسمعت صوتها تقول إنك ترى الأن ماتحلم به منذ سنوات، فهززت رأسي بالأيجاب، وعلى وجهي إبتسامة الحالم الذي يرى حلمه حقيقة، صمتت قليلًا ثم قالت أنها لن تستطيع أن تذكر لي كم سيكون حجم التضحية في سبيل الوصول إلى الحلم، لأن ما سأفقده لن تعوضه الأيام ولن أقابله في حياتي مرة اخرى، ولكنها أقدار ستسمر وليس بأيدينا شيء لنغيره، تتبدل الأشياء والأشخاص ولكن لايحل أحدًا مكان آخر، وأن ماستفقده سيظل يرافقك طوال عمرك.

فتحت عيناي، فوجدت نور تنظر إلي متأملة، وتسألني أين كنت؟ لم أرغب في مصارحتها بشيء مما رأيته في غفوتي، وأنا الذي أخبرتها بكل تفاصيل حياتي حتى ما كنت أخجل منه، كلما تذكرت شيء لم أقوله لها قلته بلا تردد، حتى تلك

الافعال المجنونة التي فعلتها في شبابي والتي لم تكن تتوقعها مني، كنت أصارحها وكأنني أطلب منها أن تسامحني على الماضي، كنت أمامها كورقة شفافة إذا نظرت لي علمت أن ورائي شيء وفي عقلي أفكار تراودني، صارحتها بكل أفعالي ماعدا....

من الصعب أن أصارحها أنني كنت في طريقي للمعمل الطبي منذ خمسة عشر عامًا لأعرف من السبب في تأخر إنجابنا؟ هل أنا أم هي؟ توقفت يومها أمام موظفة الريسيبشن مترددًا فيما جئت من أجله، وعندما سألتني عن الخدمة التي من الممكن أن تقدمها لي، أعتذرت لها متحججًا أنني نسيت شيء في السيارة وسأعود مرة اخرى، خرجت في هذا اليوم مسرعًا، القي وراء ظهري رغبتي في معرفة السبب، جلست في السيارة ووبخت نفسي على مافعلت، هل سأستمر مع نور لو كنت أنا السبب؟ هل سأقبل أن احرمها من حقها في غريزة ولدت بها وتشتاق إليها، سأكون في هذة اللحظة الظالم الأكبر على سطح الأرض، ولو كانت هي السبب هل سأطيق العيش معها وداخلي تلك الرغبة الجامحة في طفل صغير؟ ثم أنني لن أقوى على مصارحتها بأنها هي السبب، المجهول في أحيان كثيرة

نعمة لانشعر بها إلا لو عرفنا الحقيقة، أحببت المجهول منذ ذلك اليوم.

أيضًا لم أحدثها عن تلك العرافة التي جاءتني في غفوتي أمام البحر، وماحدثتني به، لم أكن أعلم ماالذي يمكنني أن أفقده هل نور نفسها أم هذا الحلم الذي لايكف دائمًا أن يركل بقدميه جنبات عقلي؟، كذب المنجمون ولوصدقوا، ولو أقسموا، ولو جاءوا بأدلة رأيتها بعيني، فلن أصدقهم، نور معي والحلم على سطح النهر إما أن تفلح سنارتي في إصطياده أو يتوه في أمواج البحر عند المصب.

داعبت نور شعري لأفيق من غفوتي وأستيقظ، فأبتسمت لها وقبلت يدها، لها نصيب من إسمها حقًا، تشرق على حياتي دائمًا دون إستئذان كالشمس تعلو السحاب وترسل أشعتها فتبدو السماء أكثر سحرًا، كانت أجازة ممتعة كنا نحتاج إليها بعد عناء العمل والحياة، إنفصلنا عن العالم لنتوحد معًا، تركنا هواتفنا المحمولة واللاب توب في المنزل، التكنولوجيا تسرق أجمل أوقاتنا وتشعرنا بالوحدة أحيانًا، وتصور لنا أنها الصديق الوفي والوحيد حتى إذا مانظرنا حولنا لم نجد من نحب ونتمى لو عادت الحياة لنقضي معه لحظة واحدة، لم

نكن نرغب أن ينشغل أحدنا عن الأخر كان هدفنا أن نقترب من بعض أكثر وأكثر ونحن من ظننا أنه لاتوجد درجة أبعد مما وصلنا إليه من القرب.

في هذة الأجازة وفي الليلة الأخيرة منها تحديدًا كانت رسالتي التي قرأتها أحشاءها، لم أصارحها بهذا أيضًا رغم أنها سألتني وألحت في السؤال علي عن سر سعادتي المفرطة التي لمعت على وجهي فجأة، فأجبتها ليلتها أنها أستعمرتني لدرجة الجنون، فأرتمت على صدرى ونامت فلم تشعر بدفء دموع الفرح تجري على وجهي.

بدأت نور تشعر ببعض التغيرات تحدث لها فزرنا الطبيب الذي بشرها أنها حبلى، كانت مشاعرها متضاربة بين السعادة وعدم التصديق، شاركتها مشاعر فرحها لأنني كنت قد عشتها منفردًا قبلها، للمشاركة طعم مختلف، وجدتها أكثر حذرًا في الحركة، أكثر إهتمامًا ومواظبة على الذهاب للطبيب، شعرنا بالمولود قبل أن يجيء، وعندما سألتني السؤال المعتاد هل تريد ذكرًا أم أنثى؟ لم أصارحها أنها ستنجب أنثى تشبهها ولها نفس إطلالتها التي تسحرني دائمًا، تهربت من الأجابة بالجملة الشهيرة التي نرددها دائمًا (كل اللي يجيبه ربنا كويس).

ولكنها عندما ألحت في السؤال أجبتها أنني أتمناها أنثى وسأسميها نور، ضحكت وتعجبت وسألتني لماذا؟ فقلت لها لأظل أردد الأسم طوال عمري وتكونين أنت نور الكبرى وهي نور الصغرى كدرجات الحرارة التي تفصح عنها هيئة الأرصاد الجوية، ضحكت لدعابتي وطلبت أن أدعو لها بإكتمال الحمل وأن تجيء نور إلى الدنيا في أفضل حال، لم تكن في إحتياج لطلب كهذا فقد كنت أطلب من الله دائمًا أن يكتمل حلمنا.

تعبت نور في الحمل خاصة في الأشهر الأخيرة منه، كانت على مشارف الخامسة والأربعين، فلجأت للفراش لتحافظ على الجنين الذي تتمناه وعاشت سنوات طويلة من أجله، إنها تحلم بأول بكاء له في الدنيا وأول لمسة ليده الرقيقة وأول نظرة لعينيه وأول ضمة حضن له.

إشتدت الالام عليها في بداية شهرها التاسع وبدا واضحًا أن الولادة لن تكون سهلة كما ذكر لنا الطبيب منذ فترة، وفي الموعد الذي المحدد للولادة جلست على مقعد أمام غرفة العمليات بينما دخلت هي وإبتسامة دامعة على وجهها، أرسلت لي قبلة فشعرت بها مطبوعة على خدي.

تحسست يدي فوجدتها إزدادت تجاعيد لم ألحظها إلا في هذة اللحظة، فتلمست وجهي فشعرت بخرائط العالم مفصلة عليه، حتى تلك الدول الجديدة التي لم تكن موجودة تركت أثرها واضحًا، أمسكت بنظارتي الطبية فوجدتها أكثر سمكًا مما كانت عليه ورغم هذا لاتعطني دقة أكبر لتفاصيل الحياة الكثيرة.

نظرت بجواري فوجدت زوج إبنتي نور يجلس ويتملكه توتر لم أره عليه من قبل ولكنني جربته قبل ذلك، رجفة خفيفة في يديه وشفتاه تردد دعاءًا واحدًا، يقوم فيتحرك بين النافذة والمقعد المجوار لي، حاولت أن أربت على كتفه فوجدته يقبل يدي، وبعد وقت قصر أو طال لم ندر، وجدت زوجتي نور تفتح باب غرفة العمليات مسرعة إلي، منذ فترة لم تحدثني أو تجيء لي في أحلامي، حاولت أن اتكأ على عكازي لأستقبلها فقد كان لها وحشة سنين بعمر نور، ولكنها أشارت لي أن أجلس، بعدها رأيت إبنتي نور تخرج من غرفة العمليات لتمسك بيد والدتها، إبتعدتا قليلًا حتى أصبحا طيف واضح يتحرك أمامي، لوحا لي في صمت ثم أخبرتني زوجتي أن نور قد رُزقت نور، فتذكرت العرافة.

إحتواء

تجول في الغرفة كما يفعل في كل صباح، ثم جلس على مقعده المفضل، أمسك بالجريدة اليومية لعله يجد مايستحق القراءة، ولكن دون جدوى، تشابهت الأخبار والمانشيتات مع كل ماقرأه بالأمس والأسبوع الماضي، حتى الحوادث تتكرر بنفس الكيفية والمجرمون يقعون في نفس الأخطاء فيتم القبض عليهم، أو يظل ضحاياهم على نفس طريقة التفكير فيقعون مرة اخرى في شباكهم، صفحة الوفيات فقط هي التي تتغير من يوم لأخر وهل يموت الأنسان مرتين حتى يتكرر الحدث؟، بل يموت مرة واحدة فقط ولكن قد تطول فيها أنفاسه لسنوات، كما يحدث معه الان، مستسلم للحظة إحتضار تنتظر نقطة النهاية، حاول أن يكمل قراءة الكتاب الذي بدأ قراءته منذ شهر مضى ولكنه لم يقرأ سوى سطرين فقط واعاده إلى مكانه، رغم أن الكتاب شيق وممتع في موضوعه إلا أن الكتب التي تطول فترة قراءتها تصيب من يقرأها بالملل منها، حدث هذا في شبابه، يقرأ ويقاوم هذا الشعور حتى الصفحة السبعين ثم لايستطيع،

كان يريد أن يعطي الكاتب فرصة لأقناعه بأستمرارية القراءة ولكنه عند هذة الصفحة يضع الكتاب جانبًا واعداً من كتبه بفرصة اخرى بعد فترة، الأن نفذ الصبر وأصبحت الصفحة العشرون حكمًا على تلك الكتب هل سيكملها أم لا؟.

أزاح ستائر النافذة ليتابع المارة في الشارع كما يفعل كل يوم، نفس الوجوه ونفس التصرفات تتكرر أمامه، المخرج يعيد دائمًا نفس المشهد السينمائي مرات عديدة حتى يصل إلى أفضل أداء ولكن المارة تخذله في كل يوم، الناس تقف في إنتظار الحافلات التي ستقلهم إلى مصالحهم، آخرون يجلسون على المقهى يشربون نفس المشروبات ويجلسون على نفس المقاعد وفي نفس الأماكن، الجميع يقاوم النوم واللامبالاة بحركات وطقوس تجلب له مزيدًا من النوم واللامبالاة، عاد وجلس على المقعد واضعًا ساقه اليمنى على اليسرى، يتأمل جدران الغرفة في بطء شديد، لاحظ أن بعض المحتويات قد غيرت مكانها عن الأمس، لم يكلف نفسه عناء أن يتذكر من غيرها ومتى ولما؟ تغيرت وتركت مكانها القديم لعلها ايضًا أصابها نفس ماأصابه.

فقدان زوجته جعله يشعر بالوحدة والملل من الحياة، حتى أنه اصبح لايحافظ على مواعيد الأدوية الخاصة بمرض السكري مما جعل معدلات قياسه في الآونة الأخيرة غير مطمئنة، غدا أكثر إستسلامًا للحزن بعد أن كانت الأبتسامة لاتفارق شفتيه، حاول كثيرًا أن يخرج من هذة الحالة التي سيطرت عليه ولكن دون جدوى، لايريد النهاية الأن فهو ليس مستعدًا لها، ولايرغب في البقاء وحيدًا بين جدران غرفته، يشعر وكأنه يجلس في أرجوحة ما إن يصل إلى نقطة حتى يندفع إلى نقطة اخرى، تتساقط منه أثناء إندفاعه أشياء كثيرة لم يعد يهتم بالأحتفاظ بها.

شعور ما يجتاحه منذ فترة طويلة، لايستطيع تحديده أو إيقافه، يعرفه جيدًا ولكنه لايمتلك القدرة على مقاومته، ينمو في قلبه وينتظر اللحظة التي يحتل فيها جسده بالكامل، كجيش ينتظر غفوة العدو لينقض عليه، وآخر يغادره دون فوضى، ينسحب من داخله في هدوء وصمت ولكنه يشعر به، يحاول دائمًا أن يختلي بنفسه ليحدد هذة المتغيرات الجديدة التي طرأت عليه ويسميها بأسمائها الصحيحة، مايحاول إحتلاله بقوة ومايغادره في إنهزام، ولكنه لايصل إلى نتيجة،

وربما ينتظر شعور يلحق بقلبه في لحظة معينة يزيد من رصيد الأمل المتبقي لديه.

خرج من غرفته وتوجه إلى الصالة، إبنته مشغولة بتفاصيل كثيرة، شحبت قليلًا وأصبحت عصبية في معاملتها مع ولدها الوحيد، لم تكن كذلك منذ عام مضى، جرى إليه حفيده الوحيد فأنحنى إليه مقاومًا الآم عموده الفقري فحمله وضمه إلى صدره، أطال النظر في عينيه فوجده يتحدث بسرعة وكأن لديه مواعيد يريد أن يلحق بها فأجلسه على الأرض وجلس بجواره ليشعره بأنه متفرغ له فأطمئن الطفل وحكى له أحداثه الطفولية ومشاكله مع أصدقائه اللذين لايتذكر أسماءهم، تذكر أنه كان يستمع لنفس الحكايات من والدته في طفولتها، لازالت الطفولة في هذا العمر تحتفظ بالبراء وبنفس الحكايات التي مهما أستمعت إليها لاتمل ابدًا، داعب شاربه وحاول أن يجذب نظارته ولكنه أنقذها في اللحظة الأخيرة، من قال أن الأطفال تحتاج إلى الأب أو الجد ليكون لهم سندًا ووتد مع مرور الزمان، العكس في أغلب الأوقات هو الصحيح، إنه يحتاج إلى هذا الحضن ليختبيء داخله ويحتمي به من كل ما يهاجمه في هذا العمر، يحتاج إلى هذا الأحتواء

حتى يشعر أنه لازال يحتفظ ببعض القوة ليقاوم ويعبر هذا تلك المشاعر التي تجتاحه.

في المساء جلس في التراس مع إبنته، تجاذبا أطراف الحديث، لم يتحدثا منذ فترة طويلة، أشياء كثيرة لم يكن يعرفها عنها، إنشغالها بطفلها وسفر زوجها جعل الدنيا تلقي بكل شيء فوق كاهلها، فشعرت بمسؤوليات كثيرة ملقاة على عاتقها جعلتها مشغولة طوال النهار وتغلق الباب على نفسها وأبنها الوحيد، اطلعت والدها على صور زوجها التي يرسلها اليها من غربته، لايبدو سعيدًا هناك وهي هنا اصابها الذبول، لن تستطيع السفر إليه، صعوبات الدنيا تحتاج إلى توفير نفقات كثيرة على حساب السعادة، قاسية هي الحياة تجبرنا دائمًا على الأبتعاد، لم يقاطعها أثناء حديثها، فقط أكتفى بالأستماع إليها، تحتاج أن تزيح عن نفسها أحاسيس كثيرة كبلت قلبها واصابتها بالحزن، دائمًا ماكانت تحكي له قبل زواجها وكان يحتضنها ويربت على كتفها فتغوص بجسدها بين ذراعيه، كما فعلت في هذة المرة وفي مرات اخرى بعد ذلك، كانت تريد هذا الأحتواء لتشعر بجمال الحياة.

إبتسم وذكرها بحكاياتها القديمة التي كانت تحكيها له قبل زواجها، وحينما إبتسمت قاما معًا لينظرا إلى المارة في الشارع فوجدا الجميع تنبض قلوبهم بالحياة.

لوثه

اليوم أتممت عامي الثاني عشر، لم استطع أن احتفل مع أصدقائي بعيد ميلادي كما كنت افعل من قبل، وكان لزاماً علي أن اجمع حاجاتي، لأنتقل مع والدي ووالدتي إلى تلك القرية الجديدة، الحياة دائمًا تحتفظ لك بمفاجأت في كل مكان تذهب إليه، قد تكون سعيدة وقد تكون غير ذلك.

مكان جديد، لا اعرف فيه احد، ولايعرفني احد، غريب اتلمس اولى خطواتي، الخوف شبح الغرباء، و الحذر فريضتهم، كان أهم شيء في هذة الفترة هو خلق نوع من التآلف مع هذا التغيير، غرفتي اكبر من تلك التي كانت بمنزلنا القديم، وبها نافذة تطل على قطارات تسافر إلى كل مكان وكأنها تذكرني أن البقاء في نفس المكان صعب، والترحال سيكون نصيبي، على مد البصر حقول خضراء تحمل جمالاً يشوبه غموض، شعرت منذ الوهلة الاولى أنها تخفي وراءها حكايات كثيرة.

إهتمت والدتي بترتيب المنزل سريعًا حتى لا نشعر بالغربة، وكانت تريد أن تشغلني معها، ولكن عقلي يفكر في إهتمامات

اخرى كباقي الأطفال ابحث عن أصدقاء جدد ألعب معهم وأقتل ملل الايام الاولى، لذا عندما سمعت أصواتهم في الشارع لم أتردد في النزول إليهم، حذرتني والدتي ألا أقضي وقتًا طويلاً ولا اذهب بعيدًا حتى لا اضل طريق العودة، وعدتها بما تريد، تمسكت بوعدي في البداية، ثم لم افِ به بعد ذلك لأنها لم تعد تحذرني.

كنت اهبط إلى الشارع كلما سمعت اصواتهم وهم يلهون و يجرون، كانت أصواتهم العالية متشابهه، حتى جاء هذا اليوم الذي سمعت صوتًا مختلف، اختلط صوت جديد مع تلك الاصوات الطفولية، لم استطع أن افسره أو أفهم ماذا يقول، شخص يسبهم ويسبونه، جريت إلى النافذة وقد سبقني الفضول، فوجدتهم يلتقطون الحجاة من الارض ويلقون بها شخصًا يجري أمامهم، فيقف الشخص ويجري ناحيتهم، فيجرون منه، فيتوقف عن الجري، فيعودون مرة اخرى ويجرون وراءه وهم يرددون كلمة واحدة

- يامجنون .. يامجنون.

لم أتبين ملامح وجهه من نافذتي، ولكنه شخص نحيل، يرتدي جلبابًا ممزقًا وغير نظيف، يمسك بيده عصا، ولكنه

لايتكأ عليها أثناء سيره، فهو يمسكها من منتصفها، يهددهم بها بين الحين والاخر.

حينما سألتهم عنه أجابوني

- هذا عبد السميع المجنون.

لم تكن الاجابة كافية لي، فقد تولد معها اسئلة كثيرة، لماذا لم يذهب عبد السميع إلى مستشفى الامراض العقلية؟ ولماذا يلقونه بالحجارة؟ و أين يعيش؟.

لم أجد إجابات لديهم لهذة الاسئلة، بل أنهم تعجبوا منها، لأنهم يتعاملون معه كلعبة يلهون بها، كلما رأه أحدهم، نادى على بقية أصدقائه ليبدأ فصل جديد من المطاردة.

ظللت اراقب هذا المشهد كلما تكرر أمامي ولااشترك فيه، حتى جاء هذا اليوم الذي اخترقت فيه الكرة تلك الحقول، فذهبت لأبحث عنها، وفجأة وجدتني امام عبد السميع وهو يمسك بالكرة فخفت منه، لا تقوى قدماي على التحرك ناحيته، أو الفرار منه، وكأن قدماي غاصا في الأرض، وجدته يلقي إلى بالكرة فأمسكتها، واطلقت ساقاي للرياح، وعندما عدت إليهم لم أحدثهم عما رأيت خوفاً من أن يكرروا مشهد المطاردة الذي اكرهه.

لم يهاجمني كما كان يفعل معهم، ولكنه أبتسم لي ومد يده بالكرة، وعندما شعر بخوفي، القاها إلي وأكمل طريقه ليختبيء داخل الحقول.

لم أنم في هذة الليلة، وظلت صورته تطاردني كلما غفوت، ورغم أن اللقاء الاول كان مضطربًا، إلا أن اللقاء الثاني كان اكثر هدوءًا وامنًا، فقد إقتربت منه اكثر، وتحدثت اليه، وتحدث إلي .. ليس مجنونًا .. مستحيل .. من قال هذا الكلام لديه قلب كبير يستطيع أن يحتوي العالم كله داخله.

عبد السميع شاب في الثامنه والعشرين من عمره، ولكنه يبدو وقد تخطى الخمسين عاماً ، همومه ووحدته جعلتاه يبدو هكذا، عندما بدأ في الكلام وجتده يجيب عن الاسئلة التي اريد أن اعرف اجاباتها.

منذ خمسة اعوام كان شاباً يافعًا، وسيمًا، مقبل على الحياة بإبتسامة التفاءل، ليست هذة قريته، ولكنه جاء إليها بعد أن ماتت حبيبته على قضبان نفس القطار الذي يمر بتلك القرية، كانت تحمل الطعام لوالدها وأثناء مرورها تعثرت قدماها بقضبان القطار، ولم تستطع أن تقوم، وكان القطار اسرع منه حينما جرى ليحملها وينقذها منه.

عبد السميع يزرع أرض والده بجوار القطار، ويراها كل يوم تمر عليه وهي في طريقها لحقل والدها، يختلس نظرات يعيش بها، وتظل في خياله حتى يراها في اليوم التالي، كانت هي تبتسم في حياء وتسير ببطء حتى تختلس العيون ما يكفي الخيال، لم يكن في احتياج ليصارحها، فقد كان يقرأ قبولها له في إبتسامتها الساحرة عندما تلمحه، ولكنه أراد أن يستمع إليها وهي تقول

- وأنا أيضًا.

لم ير في جمالها فتاة واحدة في قريته، ممشوقة القوام، خفيفة الحركة، قمحية اللون، دقيقة الأنف، شفتاها الصغيرتين في حالة إبتسام مستمر، وجهها كشمس ارسلت اشعتها من وراء السحاب في خجل إلى الارض، في عينيها سحر يتوه فيه كموج البحر إذا اطلت النظر إليه، ناعمة الملامح، تطير من فوق الارض ولا تلمسها.

عندما وافقت وقالت له ما كان يريد أن يسمعه، إشتاق أن يكون له خاتم في إصبعها، محفور عليه إسمه.

وفي هذا اليوم، بينما هو ينتظر مرورها امامه وهي ذاهبة إلى والدها ليخبرها أنه سيذهب غدًا اليه، تعثرت قدماها، ترك

فأسه وعيناه معلقتان بها ينتظر أن تقوم ولكنها لم تستطع، فجرى إليها، ولكن القطار كان اسرع منه مزقها ومزق قلبه معها، حينما وصل إلى مكانها كان معه بعض اهالي القرية، إنهار عندما رأى دمها في كل مكان، فقد الوعي ولم يعد اليه وعيه حتى اليوم.

يحكي ولا يبكي ولكنني كنت ابكي بجواره، يبتسم احيانًا عندما يتكلم عن بطء خطواتها عندما تقترب منه، ولكنني كنت حزينًا على حاله.

لم يستطع أن يعيش في قريته فكل مكان يذكره بها، فهجرها ليلاً وجاء إلى هذة قريتنا، ومنذ أن ظهر بمظهره ظن الجميع أنه مجنون، كان لاينكر أن به لوثة ما، تصيبه عندما يرى القطار قادمًا، لأنه يتذكر حبيبته، ولكنه ليس مجنونًا ابدًا.

أصبحت اقابله مرة أو مرتين في الاسبوع، كنت اشعر أن مجرد الاستماع اليه يخفف عنه الآمه التي يعيشها في كل لحظة، فأقترحت عليه في يوم أن يترك هذا المكان القريب من القطار، ولكنه رفض بشده، واجابني بأنه يريد أن ينقذها في المرة القادمة، لذا يجب أن يكون اقرب اليها من المرة السابقة.

تعجبت من الأجابة ولكنني تقبلتها كما قالها، صغر سني جعلني اتقبل كل ما قاله رغم علمي بأستحالته، ولأن إقناعه بعكس مايريد كان اشبه بالمستحيل.

حتى جاء هذا اليوم الذي رأيت فيه عبد السميع من نافذة غرفتي وهو يخرج من بين الحقول إلى قضبان القطار، كان يجري مسرعًا وقد ألقى تلك العصا التي كنت أراها معه عندما يطارده الأطفال، وقف عند قضبان القطار وانحنى وكأنه يريد أن يحمل شيئًا من الارض، ولكن لاشيء على الارض، وفجأة وجدته انتصب و نظر إلى القطار القادم في اتجاهه، و تحرك خطوتين أو ثلاثة إلى الامام، كان ينظر فيهما خلفه لنفس المكان الذي انحنى اليه، ثم مد ذراعيه يريد أن يوقف القطار القادم الذي دوى صفيره في انحاء القرية مع صوتي وأنا انادي عليه، لحظات وانتهى كل شيء، مات عبد السميع كما ماتت حبيبته على قضبان نفس القطار.

دفن الناس عبد السميع ولم يكن له عزاءًأ إلا في غرفتي، ولم يكن هناك معزين إلا أنا، كان الجميع يقول أن المجنون قد مات، كنت اسمعهم واريد أن اقول لهم ماهي إلا (لوثة حب) تصيبه عندما يرى القطار الذي مات معه قلبه وعقله، ولكنني

لـم أقـل أي شـيء لأي شـخص، واعتبرت أن مـا قالـه لي عبـد السـميع يجـب أن يظـل سـرًا، ومـن الخيانـة أن ابـوح بسـر لأشخاص لن يفهموه.

بعد موت عبد السميع فقدت الرغبة في اللعب مع اصدقائي الـذين كـانوا يلقونـه بالحجـارة، ويتهمونـه بـالجنون، وزادت عزلتي، وغرقت في غربة جديدة في مكان لم أشعر فيه بألفة إلا مع عبد السميع.

لم تطل الغربة، فبعد عام ونصف من الحادثة ابلغني والدي أننـا سـننتقل إلى المدينـة لنكـون أقـرب إلى الجامعـة، وحتى لاتضـطرني الظـروف إلى الاقامـة منفـردًا فيهـا، أو السـكن في المدينـة الجامعيـة، فرتـب والـدي أوراقـه، وقـدم طلبًا للأنتقـال إلى المدينـة، فوافـق مـديره، وغادرنـا القريـة بكـل مافيهـا مـن ذكريات مؤلمة بالنسبة لي، لازلت أتذكره، وأتذكر حديثه، حتى أنني رسمت صورة لحبيبته في مخيلتي، ومشهد موتها وموته، لم تنته الأحداث بموتهما، فلازالت تمر أمامي كل يوم.

حذرتني والدتي من الوقوع في الحب في أولى سنواتي بالجامعة، والحقيقة أنني لم أكن في حاجة إلى تحذير، فبعض الأحداث التي تمر عليك في صغرك تظل بصمتها طوال حياتك.

مر عامي الاول والثاني بسلام دون أن أقع في حب إحداهن، رغم محاولات بعضهن في التقرب إلي، إلا أنني كنت أحافظ على مسافة ثابتة بيني وبينهن جميعًا، شعرت بمشاعر بعضهن تجاهي، ولم أكن أتردد في صدهن بلطف، و تعمدت أن أوضح في سياق حديثي أنني أتعامل مع الجميع كأخوة، اتهرب دائمًا من أن تكون لي معاملة خاصة مع إحداهن حتى لاتشعر بأي شيء لا أريده، كنت أعلم أنني صدمت اكثر من فتاة، ما كنت افعله لم يكن غرورًا أو ثقة كبيرة بالنفس، ولكنني كنت أخاف من الحب، وكنت أخاف اكثر من مشاعره التي قد تؤدي بحياتي إلى لوثه مثلما فعلت بعبد السميع، أفهمت اكثر من فتاة أن الحب ليس من أولوياتي، فلم يبتعدن عني ولكن أصبح هناك حدودًا للعلاقة طمأنتني أنني سأعيش بهدوء بعيدًا عن تلك المشاعر التي اخافها.

ولكن الهدوء لم يدم طويلاً، ففي عامي الثالث في الجامعة التقيت بفتاة لازالت في عامها الأول، جمعني القدر بها وهي تسألني عن أماكن المدرجات، ودون أن أدري وجدتني أصطحبها إلى حيث تريد، بل وحضرت معها محاضرتها الجامعية الاولى، كنت بالنسبة لها كالدليل في الصحراء، كلما

ارادت شيء سألتني، وعندما يتعذر عليها فهم شيء من دروسها طلبت مني أن أساعدها فيه، ثم أصبحت أشعر أنني مسؤولاً عنها، وشيئًا فشيئًا وجدتني أقع في حبها، فأدركت أن الحب يتسلل إلى القلب دون أن تشعر به، وان من الصعب أن تقاومه أو تتحكم فيه.

حينما كنت أنفرد بنفسي كنت افكر فيها، حتى لحظات الوحدة التي كانت تملء حياتي وجدتها تملأ فراغها بمشاعر جديدة كنت ارفضها في الماضي، صدى صوتها الدافيء يتردد داخلي بعد كل مكالمة هاتفيه، تبتسم فتغمض عينيها لتبدو كطفلة بريئة تحب أن تنظر إليها، تتحدث فتظل عيناي معلقتان بعينيها.

ظل حبنا يكبر مع الايام ولكن دون مصارحة، قرأت في عيناي أنني أحبها، وقرأت في عينيها حبها لي، ولكن لازالت آثار الماضي عميقة جدا داخلي حتى جاء الشتاء الذي قررت فيه أن تنكمش علاقتي بها، وتذكرت تلك اللوثة بقوة.

يناير بداية كل عام، وربما يكون نهاية قصتنا، كانت مصارحتي لها كما كنت اصارح الفتيات الاخريات، حاولت أن أتماسك، وأن لايظهر أمامها ضعفي، أو أن تلحظ أنني أذوب عشقًا فيها،

وهربًا منها، كانت تقف أمامي وهي ترتدي معطفها الأحمر، وتضع يديها في جيوب سترته لتخفي رعشتهما عني، لم تفلح نظارتها الشمسية في إخفاء دموعها التي رأيتها لأول مرة، كاد الضعف أن يصيبني وانهار امامها، كدت أتهور واضمها إلى صدري، وأضع يدي على شعرها، وأعتذر لها وأطلب منها أن تسامحني، كنت سأفعل دون أن أهتم بمن حولنا، كانت لدي رغبة في أن انفصل معها عن العالم كله، لولا أنني تذكرت عبد السميع، وتذكرت مصيره، تذكرته وهو يجري إلى قضبان القطار، يحاول أن يلتقط الهواء، محاولته لأيقاف القطار، ثم تذكرت عزاءه الذي لم يحضره غيري، خفت أن افقدها يومًا، أو تفقدني هي، ويعيش أحدنا على أمل إنقاذ الآخر في مشهد خاسر، وحينما تركتني وسارت في خطوات سريعة، تتبعتها في خطوات أسرع لألحق بها، وأحكي لها عن عبد السميع.

حجاب

وقف الأمام وأنتصب خلفه المصلين قبل أن يصل المؤذن إلى (قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة)، هل تعجلوا الصلاة حبًا فيها، أم يريدون الخلاص منها سريعًا والخروج إلى أمورهم الحياتية، وهل تتركهم تلك الأمور أثناء صلاتهم؟ إنها الحياة بكل مكرها وخداعها، تتسلل إلى كل واحد حتى في هذا الوقت القصير الذي يقضيه بين يدي ربه، الجميع مشغولون في تنظيم الصفوف، يشير كل واحد منهم للاخر أنه متقدم أو متأخر قليلاً، يجب أن يستوي الصف قبل البدء في الصلاة، رغم أن العلامات واضحة تحت الأقدام، إما بآثار قديمة للاصق على الأرض أو بحبل رفيع مشدود، إلا أن بعض الأشخاص يقومون ويقفون دون النظر إليه.

(إستوا يرحمني ويرحمكم الله) هكذا قال الأمام في مكبر الصوت الداخلي للمسجد عندما فرغ المؤذن من الأقامة، وقف هو في الصف الأول، وعندما سمع الأمام ردد في سره (إستويت ياربي واستوت نفسي، فاللهم استواءًا ليس بعده إعوجاج).

بدا وكأنه وحيدًا بالمسجد، يحاول أن ينفصل عن كل شيء حوله، لايسمع ولاينظر لأحد، تتملكه في هذة اللحظة دائمًا حالة يتمنى أن تمتد ولاتنتهي، يغمض عينيه ويسبح في ملكوت آخر، تنتظم أنفاسه، يسلم شهيقه لزفيره في إطمئنان لايشعر به إلا في هذة اللحظة فقط.

(تماسوا تراحموا) قالها الأمام

يدرك تمامًا أنه لايعرف من يقف على يمينه أو يساره ولكنه يشعر بسلام داخلي مع تلك اللمسة الخفيفة لكتف كل واحد منهما، يعلم تمامًا أن الجميع سيصلي ويذهب كل واحد منهم إلى دنياه دون أن يحدث الاخر، ولكن ألفة من نوع خاص تركت بصمتها في نفسه مع تلك اللمسة الكافية بالنسبة له.

يتمنى أن تظل محبة الناس بينهم في كل المعاملات ولاتتبدد مع الضغوط اليومية وأخلاقيات بعضهم، تحاول بعض الذكريات السيئة مع جيرانه أن تتسلل إلى عقله لتفسد حالته، وتذكره بما يفعله بعض البشر معه وكيف يستغلون حسن خلقه، ولكنه يجتهد ليطرد تلك الوساوس ويستعيد حالته التي يحب أن يكون عليها في تلك اللحظات.

(أكثروا من الدعاء أثناء السجود فأقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد)

تذكر أنه استمع مرة إلى خطبة تتحدث عن سجود القلب، فتمنى أن يسجد قلبه فلا يفارق السجود، قلبه يخفق بشدة داخل صدره أثناء سجوده، كعصفور رفرفت جناحيه ليسمو ويرتفع بعيدًا إلى مكان يتمنى أن يصل إليه، هل كان قلبه ساجدًا في هذة اللحظة؟ لايعرف ولكنه يشعر أن الوقت قد إقترب، في سجود القلب نجاة النفس، تذكر شيخه حين قال (أن الجباه تسجد وتفارق الأرض ولكن القلب عندما يسجد فلايفارق السجود، إن القلوب إذا سجدت فإنها تسجد عند الرحمن).

هو في الطريق، يسير أحيانًا ويتعثر أحيانًا ولكنه يخطو بنية قوية ولهفة مشتاق، سيخلص قلبه من الدنيا قريبًا جدًا، فقط أن يرفع هذا الحجاب الذي رآه أثناء منامه في تلك الليلة، منذ فترة رأى نورًا من وراء حجاب، لم يتبين ماهو، ولكنه ظل يقترب منه، تسرع خطواته تارة وتبطيء تارة اخرى، حتى رأى شيخًا كبيرًا إبتسم له قائلاً (إن كل شيء بمقدار، قربك بمقدار وبعدك بمقدار، فلازلت تسير حتى يتخلى البعد

عنك فيندفع القرب بك) فسأل الشيخ (ولكني اشعر بظلام يحيق بي أحيانًا فماذا أفعل؟ فقال له الشيخ (ادعو دائماً وقل يانور على نور أجعل لنا نور تهدي به بصريتنا إليك، فالنور الذي تريده هو أن يكون قلبك وروحك خالصة لله، ادعو ياولدي فالطريق طويل ولاتهمل العلامات فهي دليلك، لازال عالق بقلبك شي من الدنيا، لاتطع نفسك فهي مفتاح هلاكك، خالفها لتنجو بروحك)، أستيقظ من نومه في الصباح ولازال لسانه يلهج بالدعاء.

كثيرًا ماكان شيخه يحدثه عن الأنكسار أمام الخالق، فالأنكسار أمام العزيز عزة للعبد، يدرب جوارحه كل يوم على الأنكسار، يبكي في قيامه حتى ترتعد أطرافه، فيزيد شعوره بضعفه أمام خالقه، عيناه لاتجف من الدموع معلقتان دائمًا في السماء، يطيل السجود في الليل يدعو حتى يطمئن قلبه، يخفق قلبه فيشعر أنها لحظة إستجابة فيتمنى أن يتوقف الزمان عندها وتطول.

إزداد خشوعه في صمت الأمام، شعر بسعادة كبيرة تغمر قلبه وكأن روحه تحلق في السماء، سكنت نفسه فنظر إلى الأرض فقال الأمام (الله أكبر)

خطوط

اتفقا أن يكون اللقاء وقت غروب الشمس كما إعتادا في كل مرة، وفي مكانهما المفضل على ضفاف النيل، حيث يجتمع المحبون هناك، يتهامسون ويبتسمون ويقدمون لمن حولهم الأمل في حياة جميلة على طبق من التفاءل المفرط، لم يصدقا أنهما بعد عامين من علاقتهما قد يجتمعا في نفس المكان ولكن صامتين، ينتظر كل واحد منهما أن يبدأ الأخر بالكلام.

طالت اللحظات وكأنها دهر مثقل بمجهول لايعرف كيف يفصح عن نفسه، إختفت الشمس في خجل ملوحة لهما بالأنصراف لتشرق على محبين آخرين في الجانب الاخر من الكرة الأرضية، ربما يحملون كلامًا اكثر من هذين العاشقين الصامتين، وقبل أن يصيب أحدهما الملل بلحظة واحدة، أخرجت هي من حقيبتها ورقة بيضاء وقلم، وبدت يدها مضطربة وهي تستعد لكتابة شيء ولاتعلم ماذا سيكون رد فعله عندما تبدأ الكتابة، وهل سيفهمها؟.

كتبت إسمها في أعلى الصفحة ونظرت إليه، فتجنب أن ينظر لعينيها، ظلت عيناه معلقتين بأسمها الذي كتبته، ثم كتبت إسمه في أسفل الصفحة، رسمت سهمًا بخط مستقيم يبدأ من إسمها وينتهي عند إسمه مباشرة، ثم رسمت سهمًا ثان، وثالث ايضًا، ورغم أن يدها كانت ترتعش وأنفاسها متسارعة، إلا أن الأسهم لم يصبها اي إهتزاز وكأنها رسمتهم بمسطرة حادة.

وضعت القلم عند إسمه في أسفل الصفحة، ثم رسمت خطًا مستقيمًا يميل ناحية اليمين، ثم يرتفع قليلاً ويسير أفقيًا جهة اليسار ثم مايلبث أن يعلو رأسيًا ثم ينكسر جهة اليمين ثم تصعد به لأعلى ولكن ببطء شديد ثم تنحني به جهة اليسار، وبعد مجموعة من الانحناءات والانكسارات المتعددة الأتجاهات إرتفعت بالسهم ليصل إلى اسمها، ثم تركت القلم وفي عينها دمعة ساكنة.

ظل هو يتابع يدها وهي ترسم الخطوط، لاحظ إرتعاشة أصابعها الرقيقة، وتوقف يدها عن الرسم أحيانًا، ولكن أكثر مالاحظه أنه لم يجد خاتمه الذي أهداه لها عند مصارحته

بحبه لها في نفس المكان، منذ فترة وهو يقاوم قرار الأنفصال، يعتبره اخر الحلول إذا إستمرت العلاقة بنفس الوتيرة الباردة.
تراه يماطل، يذهب يمينًا ويسارًا ولايقطع المسافات مباشرة إلى قلبها، وترى نفسها إمرأة صادقة، تجري نحوه بكل جوارحها، تتحرك إليه من كل إتجاه.
تسبقه دائمًا بخطوه فقررت أن تنهي العلاقة، إتخذت القرار الذي كان يقاومه هو داخل نفسه، ولكنها لاتملك شجاعة مواجهته، فأختارت تلك الطريقة وهي تعلم أنه سيفهم ماتريد أن تقوله، كانت النهاية واضحة لهما ولكنه يرى نفسه أصدق منها في مشاعره تجاهها.
فأمسك القلم ومسح إسمها الذي كتبته في أعلى الصفحة وكتب إسمه، ومسح إسمه بأسفل الصفحة وكتب إسمها وترك القلم، ثم ذهب كلا منهما في طريق عكس الاخر.

لعبة الموت

تقف امامه كما تفعل في كل ليلة، ترتدي ملابسها الضيقة، ذات اللون الأسود اللامع الذي يلتصق بجسدها فتبرز معه تفاصيله، تنطلق صفافير الشباب من الصالة، تزعج أذنيه، يحاول أن يتقبلها باردًا، وكأنه لايسمعها، ترفع هي يديها لتحيهم، وترسل قبلاتها لهم فيزيد لهيب الجمهور، ويزيد التصفيق، يشعر كل شخص منهم أنها تبتسم له هو فقط، رغم أنها ترتدي قناعًا ذهبي اللون يخفي ملامح وجهها تمامًا، ولا تخلعه إلا بعد إنسدال الستائر وإنتهاء الفقرة.

يقف هو على بعد خمسة أمتار على الأكثر، يرتدي صديري مفتوح يبرز عضلات ذرعيه وصدره، الجماهير لاتحيه ابدًا في بداية العرض لأنها تخطف الأضواء في كل مرة، ولكنه يستحوذ على تصفيق حاد في نهاية الفقرة، يستقبل تحيتهم مبتسمًا، بينما تقف هي مشيرة إليه وهو يستعرض عضلاته المنحوتة.

بجواره منضدة عليها ستة خناجر، سيصوبها جميعا تجاهها دون أن تصيبها، ترتطم الخناجر الستة بجوار جسدها الذي

يستند على لوح خشبي، بينها وبين كل خنجر مسافة لاتزيد عن بضعة سنتيمترات، هو رام ماهر، تعلم اللعبة منذ أن كان طفلًا، لمس فيه والده هدوء أعصابه وإتقانه لهذة اللعبة فدربه عليها كثيرًا حتى أصبح له صيت كبير في السيرك، وبدأ في تقديم فقرته التي أصبحت بعد ذلك من البرنامج الأساسي، بعد أن ينتهيا من الفقرة، يتجه إليها ويمسك يدها وينحيا للجماهير، فيظل التصفيق حتى تنسدل الستائر.

عشرة أعوام يصوب تلك الخناجر تجاه زوجته، عرفها في السيرك، وأحبها، ثم تزوجها، أنجبت له طفل في الثامنة من عمره، يقف الطفل بين الكواليس ليتابع الفقرة، كان خائفًا في البداية، يرتجف احيانًا، حتى ايقن أنها لعبة تتكرر كل يوم، فذهب خوفه، وزادت ثقته بوالده ومهارته، وزاد حبه لوالدته التي لاتهاب الخناجر في لعبة يطلقون عليها اسم (لعبة الموت) لأنها تعود منها ولاتموت، تنتهي الفقرة فيجري من بين الكواليس ويرتمي بين أحضانهما.

في هذة الليلة، وقفت وكلها ثقة، ووقف وكله خوف وتردد، خوف أصابه لأول مرة في حياته وكأنه لم يلعب تلك اللعبة قبل هذة الليلة، يحاول أن يسيطر على رعشة يده حتى

يتحكم في الخناجر، صمتت الصالة حينما أمسك بالخنجر الأول، ونظر إليها وأطال النظر، أشياء كثيرة إختلفت في الفترة الأخيرة، لم يكن يظن أنه سيشك فيها لحظة واحدة، أو يتهمها بالخيانة.

صوب الخنجر الأول، فصفق له الجماهير، فانحنى لهم، مرددًا داخله لمن تصفقون؟ هل تصفقون لزوج إكتشف خيانة زوجته له؟ أنا من عاش عشرة أعوام في خدعة من إمرأة ظن أنها تحبه، إمرأة لوثت شرفي وجلبت لي العار، تنسج خيوط الأخلاص لي، وتعبث مع غيري، نظر إلى القناع الذي ترتديه، وتخيل أنه ليس واحدًا، بل أقنعة كثيرة، كم قناع ترتدي يا ترى؟ هل كل عشيق له قناع؟ أين وجهها الحقيقي؟ واي قناع كانت ترتديه لي؟.

كانت الحياة تسير بهدوء، حتى بدأ يلاحظ مغادرتها للفراش ليلاً، ثم عودتها بعد فترة طويلة، لم يفكر في الأمر في البداية بإهتمام، ولكن التكرار وتغير سلوكها جعله يراجع تصرفاتها معه وسلوكها في الأونة الأخيرة، لم تعد الزوجة التي تقبل على زوجها، ولكنها تقدم الحجج في كل ليلة، تتهرب منه، وعدم رغبتها في الحديث معه، زفراتها التي تطلقها مليئة بالملل منه

ونظرات عينيها الباردة له، كلها أشياء جديدة عليهما، لم يكن هذا شأنها من قبل، تجهز له كوبًا من الشاي في كل ليلة رغم أنه لايطلبه، يحتسيه ثم لايشعر إلا ونور الشمس يجتاح الغرفة في قوة، وكأنه يريده أن يفيق من غفوته، فيقوم متكاسلاً، ثم يعود إلى حالته في منتصف النهار.

حتى جاءت ليلة أمس، فتش في المطبخ فوجد أقراصًا منومة، أعادها لنفس مكانها، وزاد شكه أن شيئًا غريبًا يحدث، أعطته كوبًا من الشاي، فتظاهر أنه يشربه، وبينما هي تبدل ملابسها، القى بالشاي في أصيص الزرع المجاور للفراش، ثم تظاهر بالنوم.

بعد وقت قليل، نادت عليه مرة ثم اخرى، فلم يجبها، وعندما تأكدت أنه نام، تسللت من الغرفة، واغلقت بابها في هدوء، خرج هو بعد فترة قصيرة، ولكنه لم يجدها في اي مكان بالسيرك، وبينما هو يبحث، لاحظ خيالها وراء ستار، هذا خيال لايمكن أن يخطئه ابدًا، ولكنه في هذة المرة ممتزجًا بخيال آخر، إقترب من الستار أكثر، حتى استمع إلى صوتها الناعم واضحًا تمامًا، هذا الصوت الذي كان يملأ لياليه بالمتعة والحب، نفس الصوت ولكن الأحضان تختلف.

إقترب أكثر، فشعرت هي أن بحركة وراء الستار، وماهي إلا لحظة جذب فيها الستار فرأها، ورأى خيالاً يغادر المكان مسرعًا، لم يعرفه، وقفت هي بثقة مصطنعة تهندم ملابسها وشعرها الثائر، وقالت أنها كانت تطمئن على المكان، وعندما سألها أتهمته أنه مازال نائمًا، وأن هذا الخيال في عقله فقط. حينما عادا إلى غرفتهما، حاولت أن تقترب منه، وتخلط أنفاسها بأنفاسه، ولكنه دفعها عنه.

يتذكر كل هذا وهو يلقي بالخنجر تلو الآخر، تذكر والده الذي مدح يومًا هدوء أعصابه وقوتها، لو أنه موجودًا الأن للمس أن الأعصاب لم تعد كما كانت، وأن الهدوء ليس دومًا جميلًا، وأنه على مقربة من الأنفجار، لايستطيع أن يستمع إلى تصفيق الجماهير، بل أنه تجنب تحيتهم كما يفعل في كل ليلة أثناء تقديم العرض، حتى جاء الدور على الخنجر السادس، هذا الخنجر الأخير، الذي يجب أن تنتهي معه لعبة الموت، هذة اللعبة التي عاش معها سنوات دون أن يدري أنها كما كانت بدايته معها جميلة ستكون ايضًا نهايته تعيسة وسيلاحقه العار من وراء شريكته فيها، هذة اللعبة التي لابد فيها من شريك لايستطيع الغاءه منها، هو في نظرها طفل

صغير جدًا، يمكنها أن تخدعه بطريقة سهلة، يصدق كل كلمة تقولها له، ضمرت عضلات ذراعيه في هذة اللحظة، واصابه وهن من هذا النوع الذي تتحطم على أعتابه عزائم الرجال، وتخور قواهم، ويصيبهم باليأس من الحياة، إقترب منها وهو يمسك بالخنجر الذي سينقذ به ماتبقى منه.

غرز الخنجر في قلبها الذي ظن يومًا أنه الوحيد الذي يسكنه، ثم أخرجه واعاد غرزه في بطنها، ليمزق تلك الأحشاء التي لايعلم إن كانت حملت نبتته أم نبتة غيره.

هاجت الصالة، ووقعت هي على الأرض، ووقف هو مذهولاً، يحمل خنجرًا ملطخًا بدماء عاره، صعد الجميع إلى المسرح، يقلبون الجثة يمينًا ويسارًا، ولكنها كانت قد لفظت أنفاسها الأخيرة، رفع أحدهم القناع عن وجهها، فصمت الجميع.

في مشهد آخر، وعلى محطة القطار، كانت زوجته تغادر مع عشيقها إلى المدينة التي تذوب فيها الحقائق مع الزحام، بعد أن أقنعت أختها التوأم أن تقوم بدورها هذة الليلة فقط.

سكتش رسم

طلبت منهم مدرسة الرسم أن يرسم كل واحد منهم مايريد، دون التقيد بموضوع معين كما تفعل في كل حصة، جلس كل مجموعة من الاصدقاء المقربين معًا، يتشاورون ماذا سيرسمون؟ يهمسون أوقاتًا، ويعلو صوتهم أوقاتًا اخرى، وبينما جميعهم منشغل في أفكاره، أو في فوضى يحاول أن يحدثها لمن حوله كنوع من اللهو المحبب لهذا العمر لدى الأولاد، جلس هو وحيدًا على مقعد من مقاعد المنضدة التي تتوسط الغرفة، أخرج ألوانه وسكتش الرسم الخاص به، تصفح رسوماته السابقة، زيارة حديقة الحيوان، أهرامات الجيزة، شاطيء المصيف، أول يوم في المدرسة، مع كل موضوع يبتسم إبتسامة خفيفة ويعلم أن به مسحة من فنان صغير كما تقول له دائمًا معلمته.

اليوم تتملكه حيرة من نوع جديد، دائمًا يتم إختيار الموضوع إلا اليوم، سيرسم مايريد، وتلك هي المرة الأولى التي يفعل فيها هذا، لم يعتاد أن يختار شيء، دائمًا الأشياء تفرض عليه ويجب أن يفعلها، أي الألوان يختار؟ هو يحب اللون الأزرق

والأحمر والأصفر، بأيهم يبدأ؟ وماذا سيرسم؟ ولماذا لم تختر المدرسة الموضوع كما تفعل في كل مرة؟ كان سيرتاح من تلك المساحة المتروكة للتفكير والتي لم يعتادها ولم يتدرب عليها، تذكر أنه بالأمس زار خالته التي أنجبت طفلاً، ذهبوا جميعًا لتهنئتها به، أعجبه الطفل الذي لايدرك اي شيء حوله، فهو إما صامت يكتفي بالنظر لمن يقترب منه، أو يبكي بصوت لايكاد يسمعه أحد، إقترب منه ونظر في عينيه، فوجده يبتسم ففرح وأبتسم له دون أن ينطق، تأمل وجهه الملائكي، وكأنه يسجل ملامحه في ذاكرته حتى لاتفارقه، بياض لونه، وانفه الصغير، شفتاه الرقيقتين، سواد عينيه الحالك، بشرته الناعمة، اراد أن يحمله بين ذراعيه، ويضمه إلى صدره، لولا تحذيرات والديه له على عتبة منزل خالته، تلك التعليمات التي يجب أن يتلقاها في اللحظات الأخيرة قبل اي زيارة حتى يسقطوا عنه حجة النسيان التي يدعيها عند عقابهم له بمجرد عودتهم لمنزلهم، إكتفى فقط أن يلمس خده الأيمن مرة والأيسر مرة، ثم أمسك يده، فوجد الرضيع يطبق بكفه الصغير على سبابته.

كثيرًا ما لعب مع أطفال، أكبر وأصغر منه، ولكنها المرة الاولى التي يقترب فيها من طفل في هذا العمر، يحتاج إلى هذا الأقتراب، يبتسم الرضيع في براءة، فيبتسم هو في تردد، وبينما كانت بشرة الصغير ناعمة ثابتة، اصاب بشرته رعشة وخوف، والد الرضيع يحمله بين ذراعيه، فينظر إليهما وقد بدت على وجهه علامات سخط لم يلحظها أحد، وقف الجميع لألتقاط صورة تذكارية، لم ينضم إليهم وفضل أن يلتقطها هو، قضى مع الرضيع لحظات قصيرة إلا أنها ظلت عالقة في عقله، عاد بذكرياته حتى أسعفته ذاكرته الصغيرة، ثم تخيل أنه هو نفسه هذا الطفل الرضيع الذي يبتسم ولايعرف اي شيء عن الغد.

في طريق العودة إكتفى بمتابعة المارة من نافذة السيارة دون أن يتحدث مع والديه، وعندما وصل إلى المنزل، دخل إلى غرفته والقى بجسده على الفراش وكاد أن يستسلم للنوم الذي كان يداعب عينيه، ولكنه قاوم كل شيء ليحدث نفسه كما يفعل كل ليلة، يسأل ويجيب عن نفسه، منذ فترة ليست قصيرة وليست طويلة ايضًا، يحاول أن يجد إجابات عن

أسئلة حائرة تدور في عقله ولايجد لها إجابات لدى أحد، شيء مايتغير فيه، لايدركه تمامًا ولكنه يتغير.

سأل والديه مرات كثيرة عن أمور تبدو له غريبة، أشياء أصبحت قريبة منه، ومشاعر يلحظها على نفسه لأول مرة، لم يجد لديهما ما ينتفي معه جهله بما يمر به، مع مرور الأيام شعر أن الجسر الذي كان ممتدًا بينه وبين والديه أصبح ضيقًا جدًا، ظل هذا الجسر يضيق حتى أصبح خيطًا رفيعًا، يخاف أن يشد هذا الخيط فينقطع، فتركه يتدلى على الأرض ولم يعد يراه، عندما كان أصغر من هذا كان يسير في المنتصف، يمسك والده بيده اليمنى، وتمسك والدته بيده اليسرى، ولكن الجسر ضاق، ولم يعد يحتمل أن يسير ثلاثة أشخاص بجوار بعضهم البعض، فترك كل واحد منهما يده فوقف وحيدًا يتلفت حوله دون جدوى، زاد إنطواءه مع الأيام ومع كل سؤال لايجد فيه إجابة.

يسمع زملاءه يتحدثون فلا يفهم شيء، أصبح مثار سخريتهم، هم أكثر جرأة منه، بعضهم لايصيبه الخجل ابدًا، يتحدثون بثقة تجعله يهتز من داخله، تصيبه الدهشة كلما جلس معهم وأستمع لأحاديثهم، التفسيرات التي يقدمونها للتغيرات التي

تحدث لهم جميعًا والألفاظ التي يستعملونها جديدة على أذنيه، يطأ بقدمه عالم جديد، يسير فيه ككفيف لايمسك بيده أحد، يتلمس ويتخبط في جدرانه يريد أن يحتمي بها فيجدها تبتعد عنه، لم يستطع مجاراتهم فزاد انطواءه في المدرسة ايضًا، اصابه الخوف من عالم مجهول يرفضه رغم طرقات اصابعه على بابه، كان الحديث الأكثر شيوعًا بين زملائه هو مقارنة تلك التغيرات بين كل واحد منهم، فمن تغير صوته يطلبون منه أن يتحدث كثيرًا ويغني مثلاً ليضحكوا على نبرة صوته التي تغيرت خلال أجازة الصيف، ومن خط شاربه كان يقف أمام المرآه كثيرًا ليلحظه اكثر، وبطبيعة الحال فإن من يشعر بمتغيرات أكثر يتزعم المجموعة الباقية.

تجرأ أحدهم وسرق سيجارة من علبة سجائر والده، أشعلها حينما كان وحده بالمنزل، سعل قليلاً ثم أوهم نفسه أنه يتحدث بحكمة أكثر، فاجأهم آخر بأنه إنفرد بزميلته في الدرس الخصوصي وتحدث عن أشياء كثيرة قاما بها معًا، وعندما انتهى إنهالوا عليه بوابل من الشتائم الساخرة ضاربين كفوفهم بكفه، بينما سأله آخرين أن يعرفهم على صديقة لها، الكل يضحك إلا هو، اصابته دهشة من إقتحام

هـؤلاء وغيرهم لعـوالم ولازالـت أعمـارهم لـم تتعـدى الثالثـة عشـر، تلك السلوكيات لم تكن مقبولة بالنسبة له ويعتبرها نوع من الأنحراف، هو يريد أن يفهم لماذا يميل هؤلاء لفعل تلك الأشياء.

لم يعد يسأل أحد عن اي شيء، واعتزل الاستماع إلى زملائه في المدرسة، اكتفى بأفكاره في عقله، يدور في فلكها كل ليلة حتى ينام، شعر بالغربة رغم صغر سنه، يتحدث إلى نفسه بلا صوت مسموع، الصوت وصداه يتردد داخله، حتى آهاته المكتومة لم ينطق بها ولم يبح لأحد بألمها، لمن سيبوح وأقرب الناس له يتهرب منه ولا يفك له رموز تلك الشفرة التي يعيشها، يريدونه كقطار يمر بكل المحطات ولايقف في واحدة منها، رفضه الأخرين فرفض نفسه.

اعاد النظر إلى الألوان التي أخرجها واعادها مرة اخر لحقيبته، وقرر أن يرسم هذا الطفل الرضيع الذي تأمل وجهه بالأمس بلون أسود.

إبتسامة لم تكتمل

وقف في وسط الغرفة، وأخذ ينظر إلى جسده، يتفحصه كأنه لم يره من قبل، يضع يديه على رأسه، ثم وجهه، ثم يتلمس صدره، خائفًا أن يكون قد فقد أحد أجزاء جسمه خلال النوم، يطيل النظر مرة اخرى، فقد يجد جزءًا جديدًا أضيف له أثناء الليل، يرتكز إلى الحائط ويردد سؤاله اليومي، لم يمل من تكراره رغم شعوره بأنه يفقد الأجابة مع كل لحظة من لحظات حياته، هل هناك بوادر أمل في تلك الأبتسامة التي يبحث عنها منذ سنوات طويلة؟ متى سيبتسم؟.

عيناه في هذا الصباح متعبتان اكثر من اي صباح أخر، استطاع أن ينام أكثر من إثنى عشر ساعة في هذة الليلة، عاد من عمله بالأمس بهموم جديدة اضافها إلى رصيده القديم، وبعد أن أعد الطعام، جلس أمامه، ثم تركه، ودخل إلى فراشه، وأظلم أنوار الغرفة وأغمض عينيه، ثم استسلم لنوم عميق، تولد داخله إحساس أن الصباح لن يشرق عليه مرة اخرى، وأن هذة الليلة ستكون اخر عهده بالدنيا، ولكن العمر يحمل له بقية يجب أن يؤديها إليه، فوجد نفسه واقفًا في

وسط غرفته ليكرر مشهده اليومي بالجرد الجسدي الذي أخضع نفسه له في كل صباح.

تذكر سؤاله اليومي، لقد نسي كيف يكون الأبتسام، أو أن الأبتسامة قد ضلت طريقها إليه، كانت تبحث عنه، ثم هربت عندما وجدته محملاً بهموم الحياة التي يحملها كلها فوق ظهره، فيشعر أنه أحدب، يميل إلى الأمام كل يوم اكثر من اليوم الذي قبله، حتى بدأ يشعر أنه سيحبو قريبًا بهذة الهموم التي لاتفارقه.

وضع سبابته على شفته السفلى وحاول أن يجذبها إلى اسفل، ولكن دون جدوى، فحاول أن يرفع بأبهامه شفته العليا، ولكن محاولاته باءت بالفشل، هل نسي حقًا كيف يبتسم؟ حتى محاولة اصطناع ابتسامة، أو إجبار شفتيه على الأنفراج قليلاً اصبح في حكم المستحيل، يريد أن يقلد هؤلاء الذين يبتسمون في المقاهي والشوارع، يسمع ضحكاتهم فيتملكه شعور بالحسد تجاههم، لايريد أن يضحك، فقط إبتسامة تخفف تلك الأحمال التي يسير بها.

لو أن أحد الأشخاص يقص عليه أنه رأى آخرين يضحكون لأتهمه بالجنون أو أنه يحكي له عن خيال، ولكنه يراهم،

يبتسمون ويضحكون، هو نفسه كان قديمًا يفعل مثلهم ولايعلم كيف فقد هذا الأحساس وأصبح يتمناه دون أن يحصل عليه، المجد لهؤلاء الذين يحافظون على مايفقده الأخرون خلال رحلة حياتهم.

وضع رأسه أسفل صنبور الماء البارد، يريد أن يفيق من هذة الحالة، لعل برودة الماء في هذا الشتاء القارص تصبه بيقظة يتمناها.

هل الشتاء فصل الكآبة بالنسبة له؟، ولكنه كان على نفس حالته في الصيف ايضًا، لم تتغير حالته منذ سنوات، شتاء وراء صيف وصيف وراء شتاء، ولم تقترب الأبتسامة منه، لاذ بالصمت حتى شعر أنه لايستطيع الكلام، للصمت صوت قوي وضوضاء داخله، يخوض حروبًا داخل عقله، ولكن دون ان ينطق ببنت شفه، حروبًا يخرج منها كلها مهزومًا، لم ينتصر على نفسه في مرة واحدة، فتزيد الهموم فوق ظهره ويزيد الأنحناء، وتزداد شفتاه التصاقًا.

يقوم بتشغيل بعض مشاهد الأفلام والمسرحيات الكوميدية على موقع اليوتيوب، لعله يسرق في مشاهدتها إبتسامة عابرة، يحاول جاهدًا أن يستدعي النكات التي كان لايتوقف

عن الضحك معها أيام شبابه، كل محاولاته تفشل فيزداد بؤسًا.

اغلق باب الشقة، وترقب جدران العقار الذي يسكنه بشروخه التي تزداد مع الأيام، تخفي داخلها ذكريات ماض يجاهد نفسه لينساه، وحاضر باهت لايشعر به، ومستقبل مجهول يرعبه التفكير فيه.

انتظر الحافلة التي يستقلها كل يوم وهو يراقب الناس، ولكن الشباب يلفتون نظره اكثر، وخاصة الشباب الذين يصطحبون فتياتهم، تتشابك اصابعهم، ويرسمون على شفاههم ابتسامة دون أن يتكلموا، يتحدثون دون انقطاع وكأن الكلام لاينتهي، وكأن الشوق لا ينطفيء، عالم آخر يعيشون فيه، لايدركون من حولهم، يمرون أمامه وكأنه هواء. يتابعهم فتزيد الأحمال على ظهره، ويزيد انحناءه، ويزيد سكون عيناه، فينبض قلبه وجعًا، اخذ يراقب الجميع حتى وقفت أمام عيناه حافلة معلق عليها إعلان مكتوب عليه (نحن نحقق لك الأحلام) إبتسم ساخرًا، فتشققت شفتاه.

يمين طلاق

(نم ولاترهق نفسك بالتدبير) هكذا حدثته نفسه كما تحدثه في كل ليلة، كيف يتسلل النوم إلى عقول مليئة بالأفكار عن الغد، خائفة من المستقبل، يشعر أن الأجل قد إقترب، ويريد أن يطمئن على إبنته الوحيده التي تخطت الخامسة والثلاثين، متى ستتزوج؟ وكيف ستعيش بعده بدون رجل يقدم لها الحماية والأمان، تعصف هذة الوساوس به في كل ساعة ولكنها تستبد مع الليل.

ترفض الزواج دائمًا، مهما كان الشاب الذي تقدم لخطبتها على خلق، واستعداد لتحمل نفقات الزواج، حتى وإن كان مركزه مرموقًا، فإنها ترفضه دون إبداء أسباب واضحة، ولولا أنه يعرف كيف رباها لظن بها ظنون كثيرة، تتحجج في كل مرة، وتحاول أن تطمنه أنها لاتفكر الأن في هذة الخطوة، وعليه أن يطمئن، فالغد دائمًا مجهول، من الممكن أن يكون أفضل من اليوم، يظهر عليه علامات الرفض ولكنه لايستطيع إجبارها على شيء، وهي التي تخرجت وتفوقت في دراستها وعملت في شركة مرموقة، وتتدرج في المناصب، ولكنها

من وجهة نظره أنها لم تكبر بعد، ككل أب عندما ينظر إلى أبنائه.

الحقيقة أنها لاتنتظر شخص بعينه، وليس لها في الحب تجربة سابقة، ولكنها تسمع عن حالات طلاق كثيرة حولها، صديقتان لها حملا لقب المطلقة بعد عام واحد من زواج كل واحدة منهما، خرجت الأولى من بيت زوجها وهي أم لطفل لديه شهرين، تدور به على محاكم الأسرة لتنتزع حكمًا بنفقته، سيحكم لها بالتأكيد، ولكن متى؟ ومن أين لها بالمصاريف حتى تحصل على هذا الحكم القضائي، وهل سيكفي لسد الأحتياجات؟، أما صديقتها الثانية فوضعها لايختلف عن الأولى كثيرًا رغم أنها لم يكن لديها أطفال، ولكنها خرجت بمشاكل كثيرة جعلتها تبدو أكبر من عمرها الحقيقي بعشرين عامًا على الأقل، وأصبحت تشك في كل شيء.

حينما تستمع لأي واحدة منهن فإنها تخاف أن يكون مصيرها نفس المصير، عدم زواجها لايمثل بالنسبة لها أية مشكلة، ولم تهتم يومًا بهذا الشأن إلا عندما تنظر في عيني والدها وترى الخوف يملأهما.

تربت وسط جيرانها، فأثنى جميعهم على أخلاقها، يقولون دومًا أنها تسير مثل الجندي في العروض العسكرية، لاتنظر يمينًا أو يسارًا، وهذا ماجعلها على علاقة طيبة بالجميع، تزور المريض منهم، وتسأل عنه، وتساعد المحتاج إذا طلب منها اي شيء، وكثيرًا ماكانت تتطوع بشرح الدروس لبعض الأطفال دون مقابل، إبتسامتها الجميلة وعشرتها الطيبة جعلت الجميع يحبها.

تخرجت من كليتها والتحقت بعمل جيد في إحدى الشركات الكبرى، لها دخل شهري كبير، وعلى قدر من الجمال، الجميع في العمل يكن لها كل تقدير وإحترام، وإعتبرها كل شخص أنها نموذج للفتاة التي تتمنى اي أسرة أن تزوجها من إبنها، وكثيرًا ما تلقت عروض زواج ولكنها ترفض.

بقيت المشكلة الرئيسية بالنسبة لها، إلحاح والدها على الزواج، لايمر يوم واحد إلا ويحدثها في هذا الموضوع، حديثه دائمًا عن الأمان والأطمئنان وضرورة وجود رجل في حياتها، وأن قطار العمر سيمضي وتجد نفسها وحيدة، تقابل ضغطه عليها بهدوء أحيانًا، وبعصبية في أحيان اخرى، إنتهت أحاديث كثيرة بينهما بقطيعة قد تدوم يوم أو يومين على الأكثر،

فتعود إليه وتقبل يده وتطلب أن يسامحها، فيربت على كتفها ويحتضنها ثم يعيد الطلب مرة اخرى.

ماتت والدتها منذ خمسة أعوام، وهو على مشارف السبعين من عمره، يصيبه الوهن يوم بعد يوم، حتى تمكن منه أكثر، قلت الحركة، وضعف النظر، هو لايكف عن الدعاء لها في كل صلاة.

الأمثال الشعبية دائمًا صادقة، (الزن على الودان أمر من السحر)، إستسلمت أخيرًا لرغبة والدها في الزواج بعد أن فاتحها أحد زملائها في العمل وصارحها برغبته في الزواج منها، كان قد تخطى الأربعين بأيام قليلة، لم يسبق له الزواج ولكنه بدأ يفكر في هذة الخطوة عندما رأها وسأل عنها وعلم أنها حسنة السمعة، زواج صالونات ولكنه ضروري بالنسبة لها حتى يهديء والدها، وماهي إلا أسابيع قليلة حتى تم الزواج وانتقلت لبيتها الجديد.

الأيام الأولى رائعة دائمًا، لذا فليست هي الهامة، الأهم ماسيحدث بعدها، عندما تزيد المعاملات ويعرف كلاً منهما الأخر أكثر، خاصة وأن الأيام التي تسبق الزواج لم تكن كافية ليتعارفا جيدًا، ولكنها شعرت بأن دمها يتجدد وأن السعادة

أصبحت تجري فيه دون توقف، حتى أنها ندمت على السنوات التي أضاعتها في رفضها الدائم بسبب الخوف، أقدمت على زوجها بخزائن قلبها المفتوحة التي لم تغلقها، كانت كريمة معه إلى أبعد الحدود دون أن تحصل منه على شيء يبقي مشاعرها نضرة.

لم تدم الحياة بينهما كثيرًا على هذا المنوال، فمن يعطي بلا حساب يصبه الجفاف يومًا ما، مع الأيام ظهرت له أطماع مادية عندما علم راتبها الشهري ومدخراتها بالبنك، بدأ يظهر على حقيقته دون زيف، كانت تعطيه في البداية ثم توقفت عندما لاحظت أنها لاتعرف أين ينفق تلك الأموال، أهانها كثيرًا، سبها ولعنها لأسباب تافة في ظاهرها ولكن باطنها يحمل أسباب اخرى، حتى جاءت هذة الليلة التي طلب فيها كما يطلب في كل مرة، رفضت بشدة فضربها ضربًا مبرحًا، ثم طردها خارج المنزل بعد أن القى عليها يمين الطلاق، عادت لبيت والدها بعد منتصف الليل، وعندما فتح لها الباب لم تكن في حاجة أن تحكي عليه ماحدث، إنتهى زواجها بعد أربعة أشهر فقط.

كان لدى والدها شعور بأن ابنته تخفي شيء ما بينها وبين زوجها ولكنه لايعرف، ولم تقص عليه شيء ابدًا طوال الاربعة أشهر الماضية حتى لايصيبه الندم على إلحاحه في أن توافق على خطوة الزواج، أو يشعر أنه ضعيفًا، أشفقت عليه من هول ماتلاقيه ، فكتمت في صدرها تلك الهموم حتى جاءت تلك الليلة، دخلت إلى غرفتها وإستسلمت لنوم عميق، مرت عليه هذة الليلة كسنوات طويلة، عاتب نفسه كثيرًا، حتى استقر داخل قرارة نفسه أنه السبب فيما حدث لأبنته.

الأيام كفيلة بأن تمحو اثارها، وكما يقولون النسيان نعمة لاندركها إلا مع الذكريات التعيسة، عادت الأبتسامة إلى وجهها ولكنها أصبحت باهتة، كأن الحياة تجبرها عليها فيجب أن تبتسم، بدأ عمرها يظهر على قسمات وجهها ولكنها لازالت جميلة كما هي، أصبحت حذرة أكثر من ذي قبل، تشك في نوايا كل إنسان حولها.

بعد مرور عام على طلاقها، رأها جار جديد إنتقل للعيش في نفس الشارع الذي تسكن فيه، أعجب بها وطلب يدها من والدها، ولكنه رفض مخافة أن يراها مهزومة مرة اخرى بسببه.

للَّه يامحسنين

عندما بدأت نسائم المغرب في مداعبة الأشجار حول منزلي، بدأت في إعداد نفسي للخروج كما أفعل في كل يوم، الشوارع تزدحم في مثل هذة الأوقات، وتصبح مناسبة جدًا للعمل، جلبت الكيس البلاستيكي ووضعت فيه جلبابي الأسود الذي أحافظ ألا أغسله، فيبدو دائمًا متسخًا، تتعلق به الأتربة وتزيد فيه الرقع فيزيد حبي له وأفضله أكثر من غيره، هو المناسب لما سأقوم به بعد ساعة من الأن، ولكنه ليس وحده الضروي، فهناك أدوات أخرى لا أستطيع أن أرتديها إلا عندما اقترب من مكان عملي الذي أمتهنته منذ أجل قريب، أضع كل شيء في هذا الكيس وأنطلق.

الجميع يعلم عني أنني رجل غلبان على باب الله، كلما سألني أحدهم ماذا تعمل؟ أجيبه على باب الله، كلنا على باب الله، هذة الأجابة تكفيهم أو مقنعة بالنسبة لهم، ولكنها لم تكن مقنعة لي في كل مرة أجيبهم فيها.

قفزت في الحافلة المتجهه إلى حي الدراسة، وعندما وصلت إلى مكاني المفضل تحركت سريعًا إلى داخل مسجد الجعفري،

ودخلت إلى دورة المياه، أفتح الكيس وأرتدي الجلباب الأسود، والنظارة السوداء التي أضعها على عيني حتى يظن الجميع أنني كفيف، خدعة بسيطة أقوم بها حتى يلقي البعض في يدي نقودًا أكثر، الناس تعطف على صاحب العاهه أكثر من الشخص السليم، سمعت أن شحاذين كثيرين لهم أرصدة بالبنوك، وعمارات وممتلكات، مهنة مربحة جدًا.

أجلس على الرصيف واضعًا امامي كرتونة فارغة، حتى يلقي فيها المارة نقودهم وأبدأ في ممارسة مهنتي مناديًا على المارة قائلاً (ساعدوا كفيف غلبان)، (ساعدوا اللي صابه العجز في نور عنيه)

لا اتلفت يمينًا أو يسارًا حتى لايدرك أحدهم أنني مبصر، أتابع المارة من خلف نظارتي السوداء ولكن دون أن احرك وجهي تجاههم حتى لايشعرون أنني أخدعهم فأفقد نقودهم ويضيع تعاطفهم معي، جميع العاملين في موقف الحافلات يعلمون جيدًا أنني لست كفيفًا، ومنادية السيارات هناك تعلم هذا ايضًا، أتابع لها حركة السيارات الواقفة عندما يريد أحدهم أن يهرب بسيارته دون أن يدفع، حتى أصبحت هي تتقاضى الأجرة مقدمًا وقبل أن تقف اي سيارة.

أعود كل يوم بمبالغ كبيرة أقتسمها مع أحد الشباب الذي يقف بجواري يمسك بيدي في السير إمعانًا في إقناع المارة أنني كفيف أحتاج إلى المساعدة.

منذ عامين كانت نقودي زهيدة لاتكفي لسد رمق العيال، عامل باليومية، يستأجرني أحدهم لأحمل فوق كتفي رمال وسيراميك وأصعد بها الدرج حتى أصل إلى شقته، أفرغه ثم أعيد الكرة مرة اخرى، ذراعي كان رأس مالي، مهنة مرهقة جدًا، وسأفقد عافيتي مع مرور الزمان، لذا ذراعي لم يعد كفايًا، الزبائن تريد كل شيء دون أن تدفع شيء، حتى بدأت ملاحظة شحاذ كفيف يقف في إشارة مرور، تابعته وهو يشحذ، يقف بين السيارات ممسكًا بيده طفلاً صغيراً، يتحرك بين الجميع عندما تكون الأشارة حمراء ثم يجلس على الرصيف حتى يعود اللون الأحمر للأشارة، وبعد ساعتين أوثلاثة يغادر المكان مع الطفل الصغير، وفي إحدى مداخل العمارات يخلع الجلباب والنظارة، ثم يخرج وكأن شيئًا لم يحدث، أعجبتني الفكرة وقررت أن أفعل مثله وأتوقف عن العمل باليومية.

ولكن إختيار المكان كان صعبًا في البداية ، حتى عرفت أن هناك مسؤولاً عن كل منطقة، قدمت له فروض الولاء والطاعة ونسبة من الحصيلة كل يوم حتى يتركني أمارس تلك المهنة في هذا المكان، أجلس كل يوم أنادي حتى منتصف الليل ثم أعود محملاً بنقود أكثر بكثير مما كنت أعود به قبل هذا، لم تسألني زوجتي ماسبب هذة البحبوحة التي ظهرت علي، وأكتفت بأن ماتتطلبه يجاب، فصمتت عن التفاصيل.

الناس تعطف علي كل يوم أكثر من الذي يسبقه، رغم أن المكان ليس به أثرياء ولكن الدنيا لاتهون إلا على الغلبان، وهم غلابة وأنا على باب الله وصاحب عاهة، أطلب المساعدة فيساعدوني.

في هذة الليلة وقفت السيارات موازية للرصيف الذي أجلس عليه، وجاء أحدهم ليستقل سيارته ولكن آخر كان يقف صفًا ثان فلم يستطيع الخروج، تقدمت سريعًا منه أنا والشاب الذي يمسك يدي لأساعده وأطلب منه بعد ذلك ثمن تلك المساعدة، وضعت الكرتونة على صندوق السيارة وبدأت أنا والشاب في رفع السيارة التي تحتجزه، كنت أتصرف كما لو كنت مبصرًا ولاأعلم كيف فقدت عقلي في هذة

اللحظة، أريده أن يخرج بسيارته قبل أن تلحظ المنادية التي تقف في هذا المكان، كلنا نسرق بعض، أنا أسرقها الأن وهي تسرقني حينما تسلط علي أحد البلطجية عندما تشعر أن حصيلتي اليوم كبيرة، ركب الرجل سيارته وتقدم بها للأمام ثم للخلف ثم الأمام ثم الخلف هكذا حتى أستطاع أن ينفذ بمقدمة السيارة قليلًا عن مكانها، كنت أنا أجري بجوار السيارة كلما تحرك بها، أطرق زجاجه ليعطيني اي شيء، أمسح له مرآة السيارة بجلبابي المتسخ لعله يلحظ أنني بجواره، ولكنه لم يفتح الزجاج، وعندما شعر أنها إنطلاقة واحدة وسيكون في منتصف الشارع، فتح زجاج السيارة قائلاً

- حرام عليك ياأخي، إتقوا الله.

فقلت له

- ضرير يطلب المساعدة.

ففوجئت به يمد يده ويخطف النظارة السوداء وينطلق، جريت وراء السيارة عشرة أمتار، ثم نظرت حولي فوجدت الجميع يتابع ماحدث ويسخر من عاهتي المصطنعة التي سرقها الرجل، فتوقفت عن الجري وعدت أجلس على

الرصيف مرة أخرى وكل من يمر علي يلقي بنكتة سخيفة أو عظة ليس هذا وقتها.

عدت إلى منزلي وأحمل في نفسي إنكسار، ماالذي جعلني أشعر به، وهل بعد مد اليد للغير بهذة الطريقة اي إنكسار؟، ولكن يبدو أن شيئًا من كرامتي كان لايزال عالقًا بي ولا ألحظه، يجب أن أتخلص منه على الفور، لذا فقد قررت في هذة الليلة أن أغير مكاني وأضيف عاهة جديدة غير قابلة للسرقة.

فرصة هروب

جلس أسفل البوتجاز بالمطبخ ظنًا منه أنه المكان الأكثر أمنًا وإستقرارًا حتى تهدأ الحركة بالمنزل، ساكنًا لايتحرك يمينًا أو يسارًا، ولكنه يعلم جيدًا أن صبره لن يطول، وأنه سينفذ بعد وقت قصير جدًا، خاصة وأن الطعام الذي تناوله في الأيام الأخيرة لم يسد جوعه مما جعل الهزال يبدو واضحًا عليه، وهو الذي لم يعتاد هذا الحال، ولكنه منذ إنتقاله لهذا الحي شعر بأن الأيام القادمة سوف تكون صعبة جدًا عليه، ولم ينجح في اي فرصة للهروب والنجاة من هذا المكان.

فجأة وجد أنوارًا شاحبة تضيء المطبخ، لم ينم أهل المنزل إذن، أقدام ضخمة تتحرك في بطء تدل على سمنة من يتحرك، ثم إستقرت الأقدام أمامه، كانت حافية لم ترتدي شيئًا في قدميها، وآثار قديمة لمانيكير أحمر غير مكتملة لازالت عالقة بالأظافر، عندما استدارت المرأة ظهر كعب قدميها وقد اصابهما بعض القشف، المرأة لاتسير اكثر من خطوة أو خطوتين على الأكثر في بطء، ثم تعود مرة اخرى أمام

البوتجاز، ضيق المكان مع سمنتها التي توقعها لاتساعدها على سرعة الحركة.

أصوات أواني الطهي تصدر في فوضى وتنبأ عن لحظات لايحب أن يعيشها لأنه يعلم نهايتها التي لايتمناها، لاحظ أن المرأة رفعت أنبوبة الغاز الملاصقة للبوتجاز وقلبتها ورجتها قليلًا ثم اعادتها لمكانها مرة اخرى، ثم بدأ يشعر بحرارة تكسو ظهره، فأصبح البقاء في نفس المكان لايحتمل من الحرارة، فأندفع جريًا محاولًا الأختباء في مكان اخر، وهو يعلم تمامًا حجم العواقب التي من الممكن أن تترتب على تلك الحركة، وبالفعل صدقت مخاوفه فقد رأته المرأة يتحرك بجوار قدمها مختبئًا وراء سلة القمامة.

سمعها وهي تسبه وتلعنه وتتوعده بأن يموت بالنعل، وبصوت عال نادت على بيومي، ازداد خوفه حينما استمع إلى الأسم، نادت على زوجها ليكون مشهد النهاية هنا وراء سلة المهملات الفارغة التي ازاحتها بيدها بعصبية، فجرى هو صاعدًا بسرعة على الحائط محاولاً الأحتماء خلف ماسورة المياه حتى لايتمكن منه بيومي ولا هذة المرأة، فالمكان سيكون عاليًا

وأكثر أمنًا مما هو عليه الأن، لذا فهو يحاول أن يختبيء بمكان أفضل ولو مؤقتًا حتى يرى ما ستفعله اللحظات القادمة.

أصبح يرى المكان من مسقط رأسي وبصورة أفضل، المرأة فعلا ممتلئة الجوانب، مترامية الأطراف، لاتستطيع أن تتحرك بسهولة، وهذا سيعطيه فرصة أفضل للهروب في حالة فشل بيومي في الأنقضاض عليه، ولكنه رأى بيومي طفل صغير لم يتعدى الثالثة من عمره، ضعيف البنية، شعره غير مهندم، ساقيه رفيعتان جدًا، يقف خلف أمه بملابس داخلية غير نظيفة وقد لوث وجهه آثار مخاط من أنفه، صرخت فيه ليحضر لها نعلها لتستطيع أن تقضي على صرصور، فألقى قطعة الخبز من يده وصفق وخرج مسرعًا ليحضر لها ماتريد.

شغل عقله في هذة اللحظة سؤلًا واحدًا، ماالذي يجعل أسرة في القرن الحادي والعشرين تطلق هذا الأسم على طفل صغير، ألم يعد من اللائق أن تنقرض هذة الأسماء من هذا العالم، خاصة وأنه لايعرف معنى الأسم، ولكن هذة ليست مشكلته الأن، فالمرأة تقف وتنظر إليه وكلها إصرار أن تلقيه بفردة من نعلها.

لم تعد حركته خفيفة كما كان من قبل، وليس لديه أجنحة ليطير بها، ولكنه اصبح اكثر رعبًا، خاصة للنساء، فشاربه إزداد طولًا مع الأيام وكسى ظهره لمعانًا من هذا النوع الذي يصيب من يراه بالأشمئزاز منه، ولعل هذا ماجعل إمرأة اخرى تجري مسرعة خارج دورة المياه عندما رأته، وعندما خرج هو وجدها فتحت باب الشقة ووقفت في الخارج وقد اصابتها رعشة الخوف منه، واخرى ايضًا عندما رأته بجوار النافذة إنهارت واطلقت شهقة ثم فقدت وعيها ووقعت على الأرض، كان هذا في كومبوند في التجمع الخامس، حيث إعتاد أن يعيش بين الحشائش وبقايا الطعام الفاخرة الملقاة في صناديق القمامة الشيك، ماالذي جعله بالأمس يدخل إلى كابينة الدراجة النارية لعم محمود الجنايني.

كان يظن أنه سيتنقل إلى حديقة اخرى، ولكن للأسف جاء به إلى هذا الحي الفقير، وعندما استقر في الجراج، خرج إلى الشارع وبدأ يلمح تلك الحياة المختلفة، وهذ العالم الذي سيقضي عليه، تنقل بين أكثر من منزل ولكن دون جدوى، حتى دخل إلى هذا المنزل من نافذة المنور المفتوحة ليبحث عن

اي شيء يأكله، وهاهو يقف الأن وراء ماسورة مياه مختبئًا من إمرأة تتوعده بالموت ملتصقًا بنعلها.

منذ أن وطأت أقدامه هذا الحي وهو يشعر أن كل شيء مختلف عما إعتاد العيش فيه، بينما كان ينعم بالهدوء هناك فالأزعاج هنا يحيط به من كل جانب، الأقدام كثيرة جدًا حوله، والأدخنة تلوث المكان، خطر الموت لايختلف كثيرًا ولكنه هنا له فرص اكثر، والناس لاتهابه حتى الأطفال يجرون وراءه ويقذفونه بالطوب، البقاء هنا على قيد الحياة يعني التأقلم مع الفوضى، حتى عالم الصراصير له فتوات يسيطرون على البالوعات ولايقبلون بأي صرصور جديد بسهولة ويجب أن يستسلم وهذا مالايقبله، هرب من الشارع إلى المنازل فوجدها خاوية إلا من أقل القليل الذي يسد جوع أهل البيت، الناس هنا تعيش اليوم فقط ولايفكرون في الغد، وكل لقمة لها قيمة ويجب الحفاظ عليها، القوة والصوت العال وطول اللسان معيار السيطرة والبقاء والحفاظ على الهيبة في ظل مجتمعات الفقر والعشوائية، لم يظن يومًا أنه سيقف هذا الموقف مرتجفًا وراء ماسورة مياه، رغم أنه رأى صراصير اخرى تموت أمامه تحت كاوتش سيارات أو بضربة

من نعل، وهو يعلم جيدًا أن نهايته ستتشابه مع تلك النهايات المؤسفة، ولكنه لايتمناها هنا.

كل مايخاف منه الأن أن تستخدم هذة المرأة مبيدًا حشريًا فيصيبه دوار ولن يسيطر على حركته وسيقع، وفي هذة الحالة ستنتقم منه ثم تلقيه في سلة المهملات، ولكنه إطمئن حينما سمعها تردد أن المبيد إنتهى بالأمس وهي تحاول التخلص من النمل الذي بدأ يظهر في شقوق أبواب الغرف مع فصل الصيف.

قذفته المرأة بفردة من نعلها ولكنها اصطدمت بالماسورة ولم تؤثر عليه، فقذفت الاخرى، ومع كل مرة يطلق بيومي تصفيق حاد، طلبت منه أمه أن يحضر لها المقشة، هنا أدرك أن النهاية أوشكت ويجب عليه أن يتحرك، فسار قليلًا إلى اعلى محتميًا بالماسورة ثم اختبأ وراء القطعة العلوية من المطبخ وصعد على سطحها لتهدأ الأمور قليلًا وتفقد المرأة الأمل في القضاء عليه، ولكنها لم تكف عن مطاردته، فحملت بيومي الذي أمسك بالنعل في يده وعندما رأه حاول أن يضربه، فأفلت منه في الاولى والثانية والثالثة، ثم لمح نافذة المطبخ

مفتوحة فصعد على الحائط بأقصى مالديه من سرعة، ومنه إلى السقف آخذًا طريقه للخروج من النافذة التي دخل منها.
سار على جدار المنزل المتهالك من الخارج مسرعًا ناجيًا بنفسه من الأهوال التي لاقاها في يوم واحد، مبتعدًأ عن كل النوافذ المفتوحة، وعندما وصل إلى الأرض أسرع إلى الجراج مختبئًا في كابينة عم محمود الجنايني منتظرًا عودته إلى الكومبوند والحياة التي تأقلم عليها.

قرار إداري

وقفت كريمة المعداوي موظفة البوفيه امام لوحة الأعلانات التي إعتادت الشركة العربية للاجهزة الكهربائية أن تنشر بها كل قرار إداري جديد، قرأت المنشور ولم تنطق ببنت شفة مع اي زميل لها وقف كما وقفت هي ليقرأ هذا القرار، وتأكدت أن ماكانت تسمعه خلال الأشهر الماضية لم يكن شائعات، ولكنها كانت وسيلة لجس نبض العمال كما يفعلون دائماً، يسربون بعض الأخبار ليتعرفوا على ردود الأفعال، وبناءاً على مايصلهم، يتخذون القرارت.

ولكنهم في هذة المرة لم يهتموا بردود الأفعال التي جاءت في معظمها في إطار من التعجب، كانوا يعلمون جيداً تلك الحالة التي ستصيب الجميع عندما يستمعون إلى هذا الكلام، ولكن كريمة كانت صامتة تماماً لاتعلق، واكتفت بأن تتحدث إلى نفسها، كيف تقبل؟ أو كيف ترفض؟ و كأن الرفض سيوقف تنفيذ هذا القرار الغريب الذي لم تسمع عنه من قبل في اي مكان، ليس لديها سوى قبول القرار كما هو رغمًا عنها، التسليم للواقع الذي يفرض وينسج بعناية على الجميع

وبأيدي تعبث كما يحلو لها هو المصير الحتمي عليها وعلى كل من هم في نفس الكادر الاداري.

اصدرت الشركة قراراً بوقف صرف بدل الأجازات في نهاية العام، وتعللت في ذلك بأن الشركة تعاني من خسائر كبيرة خلال الفترة الماضية، هذا الجزء من القرار كان محزناً للجميع لأنه سيؤثر عليهم مادياً، فالجميع يعتبر هذا البدل وسيلة تفريج للحال الذي يضيق كل يوم، ولكن الغريب في القرار هو أنهم استبدلوا نظام صرف رصيد الاجازات بنظام آخر هو نظام بيع الأجازات.

سيبيع الموظف ايام من رصيد الاجازات التي لايحتاج اليها لموظف اخر في حاجة إليها، و سيقبض البائع ثمن هذة الأيام من المشتري طبقاً لراتب البائع، وبهذة الطريقة ستكون الشركة قد ضربت عصفورين بحجر واحد، لن تتحمل اعباء مالية وفي نفس الوقت لم يتأثر الموظف مادياً، ولكن تظل الفكرة غريبة على مسامع العمال.

في طريق عودتها للمنزل تذكرت مرحلة التسريبات التي قام بها البعض، وكيف قام المتطوعون بوضع الرتوش لضمان تمرير هذا القرار دون اية مضايقات أو اعترضات، حتى وإن كانت

غير مؤثرة، الهدوء مهم جداً في العمل لمتخذ القرار، فهم يريدون المياه راكده دون القاء اية احجار فيها، حتى وإن القى أحدهم فيها شيئًا ما، فيجب أن ينتهي الأثر بالهبوط إلى القاع دون إحداث اي تغيرات.

في البداية تم الترويج عن خسائر الشركة السنوية، وتفكير الادارة في خفض المصروفات، العمال غير مقتنعين بتلك الأشاعة، فهم يلاحظون أن الأدارة العليا مسرفة جدًا، سيارات جديدة لأعضاء مجلس الأدارة، وسفر للخارج وتغيير اثاثات لم يمر على شرائها سنوات قليلة، تجديد بعض المباني بنوع من البذخ، كل هذة الملامح كانت غير مقنعة للعمال بأن الشركة تحقق خسائر سنوية تدعوها إلى التفكير في خفض المصروفات، وبطبيعة الحال ستكون الاجور هي البند الاول الذي سيتأثر بقرارهم، لذا فمن الممكن أن يلجأوا إلى إما الاستغناء عن بعض العمال أو تخفيض الأجور بوجه عام، هنا شعر الجميع بالقلق، هكذا دائماً، جيوب الفقراء ترتعش خوفاً كلما اقتربت منها رغم أنها خاوية، سيطر عليهم خلال هذة الفترة حالة من الترقب، ماذا سيحدث غداً؟.

جاء تسريب الجزء الاول من القرار بمثابة تخفيف الصدمة على العاملين، حيث قاموا بتسريب وقف صرف بدل الاجازات، فشعر الجميع أن الرواتب ستظل كما هي فحدث لديهم نوع من الأطمئنان، ولكن حالة الترقب لم تنته، وبعد فترة قصيرة تم تسريب الجزء الثاني، الخاص بأن الادارة تفكر في آلية جديدة لصرف الأجازات بما لايتعارض مع مصلحة العمال وهي بيع الأجازات، فعادت الابتسامة إليهم بعد أن شعروا بالأمان، وعرفوا انهم سيحتفظون بوظائفهم، و رواتبهم ستظل كما هي، بل أن البعض منهم كان يرى أنه حل عبقري لتجاوز الخسائر، ثم تولوا اقناع بعضهم البعض بالفكرة الغريبة التي تريد الادارة تنفيذها، هنا خرج المتطوعون من الدائرة بعد أن قاموا بمهمتهم على أكمل وجه وبالصورة التي ستحقق أعلى درجات الرضا بين العمال.

تسير كريمة عائدة إلى منزلها وهي تفكر في رصيد الأجازات الذي يجب أن تبيعه قبل نهاية العام، لمن تبيع؟ وهل ستجد احداً يشتري ام أن الجميع سيتسابق لبيع ايام ولن يشتري منها احد؟ ، لم تكن تعرف هل تفرح بهذا القرار لأنها ستحصل على المال بمجرد احتياجها له؟ ام تحزن لأنها لن

تستطيع الراحة بعد تنفيذ القرار؟ كانت المشاعر متضاربة، إعتادت كريمة قبل ذلك أن تقوم بأجازة عندما تشعر بالأرهاق أو التعب أو التذمر من بعض الاحوال الغير منطقية حولها، وحتى لاتنفجر في أحد وتفقد أعصابها بما لايحمد عقباه، تقوم بأجازة ترتاح فيها وتنفصل عن اي مؤثرات حولها، ولكنها الأن لن تفعل هذا لأنها تحتاج دائمًا إلى المال وستشعر أن الحصول عليه إجراء سهل وسريع، مجرد أن تعرض يومًا أو يومين للبيع ثم تشتري به ماتريد لها ولأسرتها، ولكن ثورتها ستظل داخلها دون أن تنطفيء.

في اليوم التالي باعت كريمة سبعة أيام من رصيدها لتسدد بعض الديون التي عليها، ثم باعت خمسة اخرين لتشتري ملابس جديدة لأطفالها.

بعد فترة من تنفيذ القرار تبين أن المديرين هم الذين يشترون والعمال يبيعون، كل مدير يشتري اياماً ويضمها إلى رصيده، ثم يقوم بأجازة ويعمل في مكان اخر، ثم يعود للعمل بعد إنتهاء الاجازة، وبعد فترة يشتري اياماً اخرى، ويكرر مافعله في المرة السابقة، فيزيد دخله.

تحولت الشركة إلى سوقاً لبيع الايام، وطمعت كريمة أن الصيف سيكون موسماً جيداً للبيع، وأنها يجب أن تحافظ على الايام، لأن من الممكن أن تبيعها بأكثر من قيمتها ففضلت الانتظار، ولكن الأحتياج لاينتظر ابداً، وتبدد الامل مع الأيام، فباعت احياناً اياماً بأقل من قيمتها، وكانت توقع أنها استلمت المبلغ كاملاً حتى لايخالف المشتري القرار الاداري، وقبل أن يحل الصيف كان المتبقي لها يوماً واحداً فقط.

في هذة اللحظة شعرت كريمة بمرارة الحياة، وتولد داخلها شعور أنها كانت تبيع اياماً من عمرها، تبيعها بثمن بخس لتواجه قسوة الحياة. اهلكتها الدنيا بين حجري رحى، وجعلتها فتات تعصف بها الرياح في كل إتجاه، تبيع راحتها من أجل حاجتها، وتكبت إنفجارها من أجل البقاء فقط على قيد الحياة.

كانت تشعر وهي تبيع الايام أنها تقتطع جزءاً من حياتها ليستمتع به غيرها، لم ترتاح منذ بداية العام يوماً واحداً، بل كانت في بعض الفترات مريضة واكثر احتياجاً لأجازة يرتاح فيها جسدها المنهك، ولكنها لاتستطيع الراحة وسط هذا السوق

الـذي فرضـت فيـه الشـركة على العمـال أن يبيعـوا أيـامهم لأخرين.

حالها لايختلـف عـن قرنائها في نفـس المسـتوى الاداري، الكل يعيش ضيقه منفرداً، بعضهم يحاول أن ينسى ولايفكر في هذا الشـعور الـذي لـم يمـر عليـه مـن قبـل، أن تتحـول حياتـه إلى سلعة تباع وتشترى، شعر الجميع في هذة اللحظة أنهم وقعوا في فخ اصحاب القرار، ظلت كريمة تحتفظ بهذا اليوم المتبقي في رصيد أجازاتها ربما يطول.

كلاكيت خامس مرة

ساعات قليلة ويتم إعلان النتيجة، كان يومًا شاقًا، جهد ليس بقليل بُذل خلال الشهور الماضية، ينتظر نتيجته الأن، رغم انه استعد كما فعل في أربعة دورات سابقة، ولكن الأمور هذة المرة اخذت منه شكلاً اخر، ووقتًا أكثر، لأنه شعر بأن هذة المرة مختلفة، فوجيء بعدد المنافسين، بعضهم قرأ أسمه من قبل ويعرفهم جيدًا، واخرون يدخلون السباق لأول مرة ولكنهم من ذوي رؤوس الأموال الذين سينفقون مالاً كثيرًا، وسيضطره هذا إلى مجاراتهم وزيادة الدعاية والمؤتمرات والوعود والخدمات التي سيقدمها، وبعض التحالفات التي سيضطر إلى قبولها، كل هذا لم يقابله في كل المرات السابقة.

جلس على مقعد خشبي وقد إلتف حوله كل مؤيديه، يعرفهم ولايعرفهم، تبدو في عيون البعض منهم نظرة الأحتياج ولكن المعظم تغلب عليه صفة البلطجة والصوت العالي والتصرفات الهمجية، والجميع كست ضمائرهم صفة اخرى غير كل هذا، النفاق سيد الموقف، والمصالح هي التي حكمت في كل المراحل السابقة.

لابد أن يبدي بعض القلق، هذا ماينا سب الموقف، أظهره في صمته مرة، وفي عدد السجائر التي دخنها مرة اخرى، ولكنه ادخل على المشهد شيئًا جديدًا لم يلجأ إليه من قبل، كان يرفع بصره للسماء ويحرك شفتيه، لم يسمعه أحد ولكن من حوله ربتوا على كتفه وهم يفعلون مثله، أتقن هذا التصرف للحد الذي أقنع الجميع إنه يبتهل إلى الله، وهو ماجعل بعض أصحاب اللحى يقتربون منه أكثر ويرددون بصوت عال وبأيد مرفوعة (منصور بإذن الله).

إنتصف الليل ولم يخرج عليهم أحد بأي نتيجه وهو ماجعله يبدو أكثر إضطرابًا، النجاح مضمون هو يعلم هذا، فخبرته في المرات السابقة، والاموال التي أنفقها، والاتفاقات التي أجراها مع العائلات الكبيرة، ومع معارفه الذين يشغلون مراكز مرموقة وحساسة، كل هذة العوامل ستكون هي الفيصل، نجاحه في هذة المرة تحديدًا أهم من كل مرة، فهو لم يكمل بعد أحلامه التي يريد لها أن تمتد أكثر على الأرض، يريدها واقع ملموس، بالأضافة الى شعوره في اخر عامين أنه لم يُؤمن مستقبل أولاده بما فيه الكفاية، يحتاج إلى الاطمئنان أكثر تجاه المستقبل المجهول، رغم الشركات والعقارات والارصدة

الموجودة بالبنوك، لازال شيء من شبح الفقر القديم يطارده، حاول أن يتخلص منه، ويطرد تلك الذكريات الاليمة، يكره شعور الأحتياج وقصر اليد الذي لازمه في البداية، يسير إلى الأمام ولكنه دائمًا يشعر بثقل الماضي في قدميه.

قبل الفجر بساعة تقريبًا، خرج الشخص الذي ينتظره واعلن نجاحه بفارق ضئيل، ولكنه كان يكفي ليدخل المجلس، لابد أن يبدي في هذا المشهد مشاعر كثيرة لم يبدها من قبل ولكنها ضرورية، حاول جاهدًا أن يبكي ليظهر للجميع أنها دموع الفرح، ولكنها في الحقيقة كانت دموع فرح التخلص من مخاوف العودة لماض يطل برأسه من خلف باب لايستطيع إغلاقه غلقًا محكمًا، هو متأكد أن هذا الخلاص مؤقت، وسيعاوده نفس الشعور بعد سنوات، ولكن لابأس.

إختلطت الدموع بضحك مجنون، جرت بين تجاعيد وجهه التي يحاول أن يخفيها دائمًا ببعض العمليات الجراحية التي تفلح أحيانًا وتفشل أحيانًا اخرى، يجب أن يُقبل كل حوله، فقبلهم جميعًا، يجب أن يسجد شكرًا لله، فسجد، يجب أن يطيل السجود، فأطال، كل هذا ليلتقط له البعض صورًا تنتشر عبر هواتفهم المحمولة، فيعرف الجميع بنجاحه، وأنه

هذا الرجل التقي الذي يلجأ إلى الله في كل الأحوال، يجب ايضًا أن يتحمل تلك اللحظات وهذا الزحام الكبير وهذة الضوضاء التي ضج بها المكان، لحظات أخيرة قبل أن ينفصل عن الجميع لأعوام اخرى، ولايروه إلا في سرادق عزاء أو زيارة سريعة لعرس يهيء فيها اشخاصًا يعرفونه ولايعرفهم ويحاولون التودد اليه، قد يروه على شاشات التلفاز وهو يتحدث في الميكرفون أو يجلس بجوار وزير ليوقع منه أوراق يخيل لهم أنها مصالحهم التي يقضيها.

وصل بصعوبة إلى سيارته المكشوفة، جلس بجوار السائق، يلوح للجميع، يضع يده على رأسه مرة وعلى صدره مرة وكأنه يشكرهم، يجب الا تفقد الأبتسامة قسمات وجهه في هذة اللحظات، يجب أن يشعر الجميع أنه مدين لهم، وسيحاول أن يرد ولو شيء قليل، يتلقى أوراق من البعض بطلبات لهم يضعها في سيالة جلبابه مع إماءة منه بأنه سيفعل كل شيء من أجلهم.

وصل إلى قصره في أطراف القرية في موكب مهيب، أطلقت الأعيرة النارية عند دخوله، أضواء القصر تعلن عن اللحظة التي يعيشها، تلقته زوجته بين ذراعيها وهي تهنئه على الفوز

بالمقعد للمرة الخامسة مرددة (مبروك ياحاج)، هذا اللقب الذي يحبه، والذي حصل عليه عند نجاحه في الدورة الاولى، يكرره له أولاده، نسوا أنه ابيهم، وأصبح (الحاج) اللقب المحبب لهم لأنه يحبه.

الان يستطيع أن ينعم بنوم هاديء بعد أن أصابه القلق في الفترة السابقة، سيسافر ليقضي اجازة في أسبانيا أو إيطاليا، أو أي مكان لايفكر فيه إلا في نفسه فقط، مكان لايعرفه فيه أي شخص، دون قيود أو محاذير، يريد أن يشعر بحرية في كل تصرفاته دون رقيب، يحتاج أن ينسى كل شيء وأن تمتد لحظة فوزه لأعوام اخرى، يستقبل غدًا المهنئين من أعيان الدائرة، ثم يرتب أحواله لتلك الأجازة.

صعد إلى إلى غرفته في الطابق العلوي، يضرب بقدمه الأرض في ثبات بعد أن كانت خطواته مضطربة، وعقله قلق إلى الحد الذي جعله يفقد النوم، بدأ شعور الراحة يتخلل في جسده، فبدل ملابسه، وأطل من نافذة الغرفة، كان هواءًا منعشًا يليق باللحظة، اطمئن أن الهدوء عاد إلى جنبات القصر، الشروق بدأ يلامس النهار ولكنه لم يعلن عن نفسه صراحة، فتذكر أنه يجب أن يصلي الفجر، فبسط مصلاته على

الارض، وعندما فرغ من الصلاة، إكتشف أنه صلى في الأتجاه المعاكس للقبلة.

المحتويات

إهداء ١
البرنامج ٢
العرض الأول ٩
الحرافة ١٦
إحتواء ٢٢
لوثه ٢٨
حجاب ٣٩
خطوط ٤٣
لعبة الموت ٤٦
سكتش رسم ٥٢
إبتسامة لم تكتمل ٥٨
يمين طلاق ٦٢
للّه يامحسنين ٦٨
فرصة هروب ٧٤
قرار إداري ٨١
كلاكيت خامس مرة ٨٨